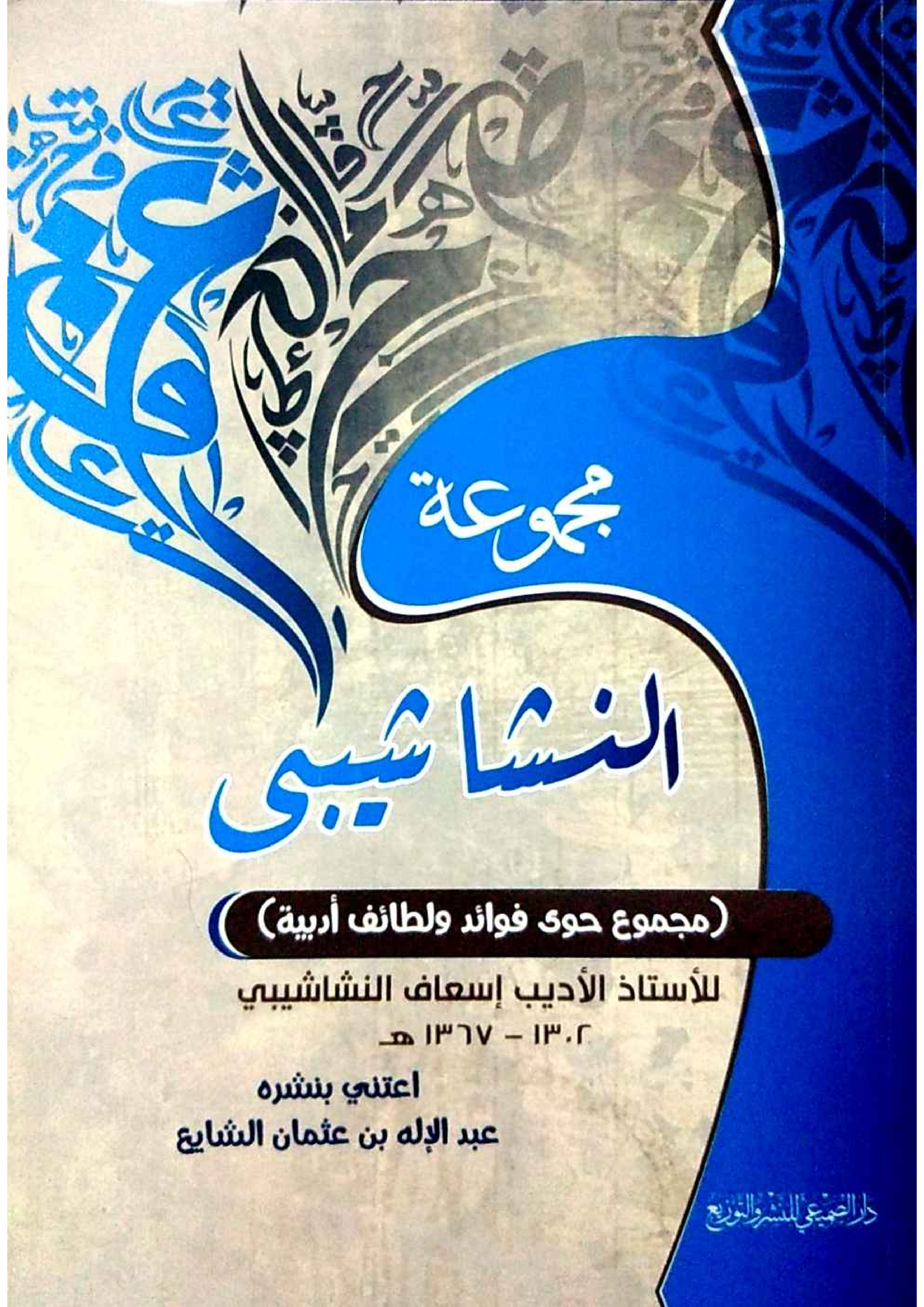
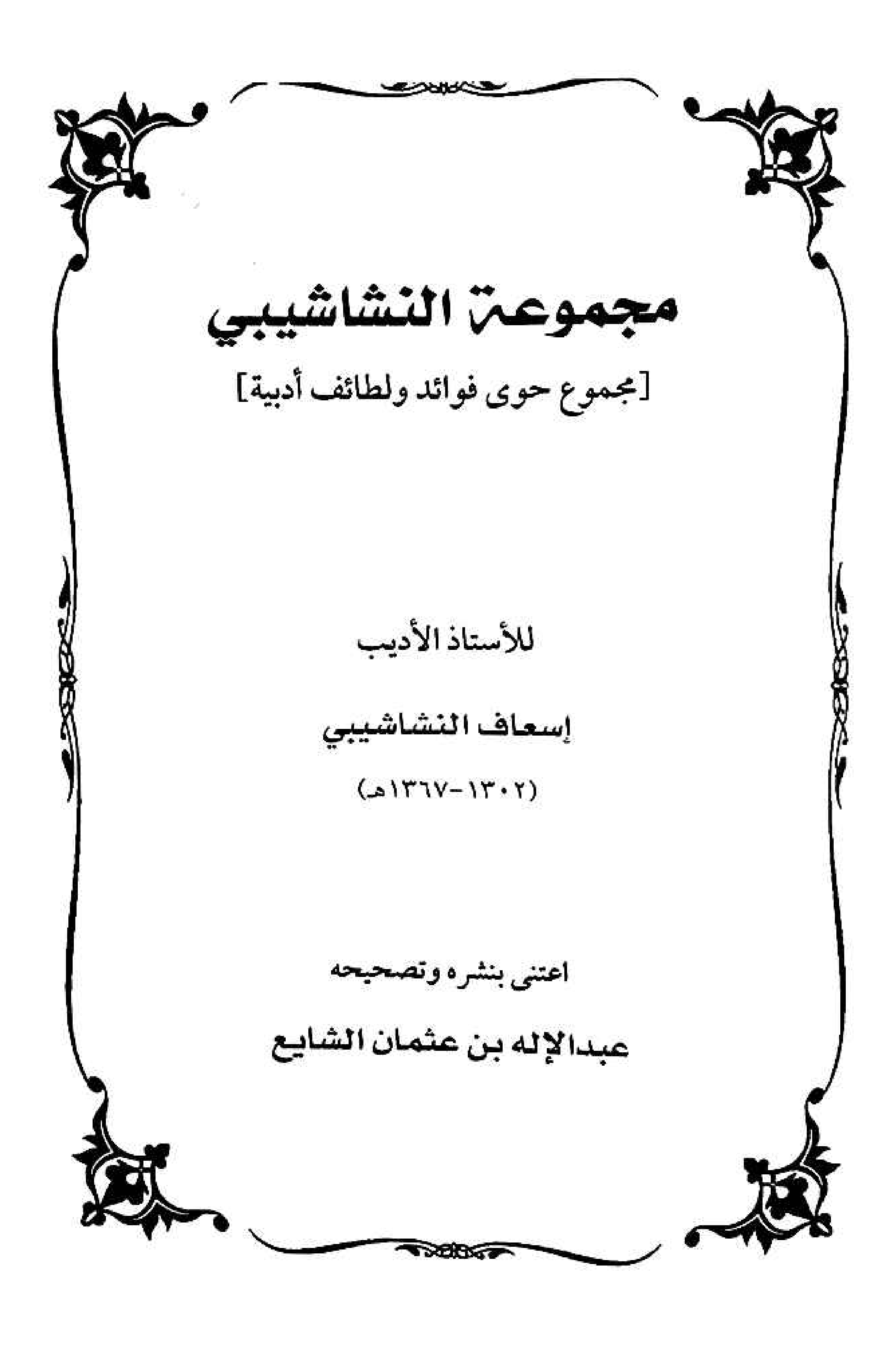

مجموعة
النشاشيبي
(مجموع حوى فوائد ولطائف أدبية)
للأستاذ الأديب إسعاف النشاشيبي
١٣٠٢ - ١٣٦٧ هـ
اعتني بنشره
عبد الإله بن عثمان الشايع
دار الصميعي للنشر والتوزيع



مجموعة النشاشيبي

[مجموع حوى فوائد ولطائف أدبية]

للأستاذ الأديب

إسعاف النشاشيبي

(١٣٠٢-١٣٦٧هـ)

اعتنى بنشره وتصحيحه

عبدالإله بن عثمان الشايع

ح دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النشاشيبي، محمد إسعاف

مجموعة النشاشيبي: مجموع حوى فوائد ولطائف أدبية/ محمد إسعاف النشاشيبي؛ عبدالإله بن عثمان الشائع- الرياض، ١٤٤٠هـ

ص: ١٣٧ ؛ سم: ١٧× ٢٤

ردمك: ٣-٠٨-٨٢٦٦-٦٠٣-٩٧٨

١- الأدب العربي- مجموعات أ- الشائع، عبدالإله بن عثمان (محقق) ب/ العنوان

ديوي: ٨١٠،٨ ١٤٤٠/٤٣٥٧

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٤٣٥٧

ردمك: ٣-٠٨-٨٢٦٦-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م

دار الصميعي للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي السويدي، شارع السويدي العام -الرياض

ص/ ب: ٤٩٦٧/ الرمز البريدي: ١١٤١٢ هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥، ٤٢٥١٤٥٩ فاكس: ٤٢٤٥٣٤١

فرع القصيم: عنيزة، بجوار مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية

هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨، فاكس: ٣٦٢١٧٢٨ مدير التسويق: ٠٥٥٥١٦٩٠٥١

المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: daralsomaie@hotmail.com



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا كتاب «مجموعة النشاشيبي» لأديب العربية إسعاف النشاشيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جمعها وألفها لطلاب الأدب العربي لترتقي ذائقتهم، وتسمو أساليبهم، وليكسبوا حصيلة لغوية، ويحفظوا نصوصه، وقد قسم هذا المجموع إلى:

القسم الأول: آيات من القرآن الكريم مع بيان معناها باختصار.

القسم الثاني: أحاديث مختارة.

القسم الثالث: من أمثال العرب.

القسم الرابع: من أقوال العرب.

القسم الخامس: من أشعار العرب.

وقد امتاز المؤلف بجودة اختياره وجمعه، وبيانه لمعاني الكلمات العربية، وكان لأخي الأستاذ الأديب الشيخ محمد بن سعود الحمد الفضل بعد الله بتزويدي بنسخة مصورة من هذا الكتاب النادر المطبوع عن المكتبة السلفية بمصر سنة ١٣٤١هـ، وقد اقترح عليّ إعادة نشره لنفاسته وجودته -جزاه الله خيرًا-.

وقد يسر الله إعادة صف الكتاب وتصحيحه، والتعليق على بعض المواطن التي تحتاج إلى تعقب، كما كتبتُ ترجمة مختصرة للمؤلف، وعزوت الأحاديث التي ذكرها المؤلف إلى مصادرها.

أسأل الله أن ينفعني به، وينفع من يقرأه، ويرحم المؤلف.

كتبه/ عبدالإله بن عثمان الشايع

ترجمة المؤلف

هو أديب العربية محمد إسعاف بن عثمان بن سليمان النشاشيبي، أبو الفضل، أديب شاعر باحث وكاتب، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق.

ولد في مدينة القدس عام ١٣٠٢، وقيل عام ١٣٠٠هـ.

وتوفي في القاهرة عام ١٣٦٧، حيث كان كثير الزيارة لها، وله أصدقاء فيها، منهم الشاعر الكبير أحمد شوقي.

تميز المؤلف باعتزازه بالإسلام واللغة العربية، وركز على إبراز دور الإسلام في تقدم الحضارة الإنسانية، وكان بعيدًا عن الشهرة، والبحث عن أمجاد شخصية.

وصف بأنه «إمام العربية». قال عنه الأديب أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة: «لقد وقف نفسه ووقته وجهده على دراسة الإسلام الصحيح في مصادره الأولى، وتحصيل اللغة العربية وعلومها وآدابها من منابعها الصافية، فكان آية من آيات الله في سعة الاطّلاع، وكثرة الحفظ، وتقصّي الأطراف، وتمحيص الحقائق، ولم يكتب للشهرة والمجد، إنما كتب للعصبية والعقيدة، أخلص لله فأخلص لقرآنه، وأُولع بمحمد فأولع بلسانه، فإذا جلس للناس في القدس أو دمشق أو القاهرة، كان مجلسه ندوة علم وفكاهة وأدب، لا تذكر مسألة إلا كان له عنها جواب، ولا تثار مشكلة إلا أشرق له فيها رأي، ولا تُروى حادثةً إلا ردّ عليها بمثل، ولا يحضرُ ندوتَه أديب مطّلع إلا جلس فيها جلسة المستفيد، لا تستطيع أن تذكر له كتابًا من كتب العربية لم يقرأه، ولا بيتًا من شعر الفحول لم يحفظه، ولا خبرًا في تاريخ العرب والإسلام لمْ

يروه، ولا شيئًا من نوادر التركيب وقواعد اللغة، وطرائف الأمثال لم يعلمه، فهو من طراز أبي عبيدة والمبرّد، لذلك كان أكثر ما يكتب تحقيقًا واختيارًا وأمالي، كان خاتمة طبقة من الأدباء اللغويين والمحققين، لا يستطيع الزمنُ الحاضر بثقافته وطبيعته أن يجود بمثله»[1].

مؤلفاته:

كان كثير الكتابة في الصحف والمجلات، مثل مجلة الرسالة، ومجلة النفائس، وكتب في عدد من الصحف العربية في مصر وسوريا .

له عدة كتب هي:

١- الإسلام الصحيح، طبع.

٢- نقل الأديب، كان يكتبه في مجلة الرسالة.

٣- أمثال أبي تمام، نشره سنة ١٩١٢م في مجلة النفائس.

٤- كلمة في سير العلم وسيرتنا معه، طبع.

٥- قلب عربي وعقل أوربي، طبع، وهو محاضرة ألقاها في جامعة بيروت الأمريكية سنة ١٩٣٤م.

٦- مجموعة النشاشيبي طبع، وهو كتابنا هذا.

٧- البستان، طبع.

٨- التفاؤل والأثرية في كلام أبي العلاء المعري، طبع.

---

(١) «وحي الرسالة» (٣/ ١١٣).

٩- كلمة في اللغة العربية، طبع.

١٠- أمالي النشاشيبي.

١١- التفاؤل عند أبي العلاء -لعله السابق-.

١٢- محاضرات نشرها في رسائل عن: شوقي، و الريحاني، و صلاح الدين، و الغلاييني، و إبراهيم هنانو، والعراق في سبيل العربية.

١٣- حماسة النشاشيبي.

١٤- جنة عدن.

١٥- الأمة العربية.

١٦- مقام إبراهيم.

١٧- بيروت والغلاييني.

مصادر ترجمته:

❖ الأعلام ٦/ ٣٠-٣١.

❖ مقال لإسحاق موسى الحسني في مجلة المجمع العلمي العربي ٢٣/ ٢٩٤.

❖ أعلام من الشرق والغرب ١٤٣-١٥٢.

❖ النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣/ ٣١٤- ٣٢٦.

❖ معجم المؤلفين المعاصرين ٢/ ٥٣٩-٥٤٠.

❀❀❀

مجموعة النشاشيبي

«الدستور الخلقي الاجتماعي للأمة العربية»

قال في حقها العلامة الكبير الأستاذ الأب أنستاس ماري الكرملي:

«كثيرًا ما ترى أقوامًا من الصعافيق[١] المتشدقة يعرضون علينا أموالًا بائرة، وبضاعة مزجاة، وهم يقولون: دونكم نفائس السلع، وغوالي الأمتعة، فيا ما أكذبهم! ويا ما أشقاهم!

أما اليوم وقد جاءتني «مجموعة النشاشيبي» فلقد ألفيتُها من أثمن الهدايا، ومن أجدر ما يقدّم إلى أجلّ الكتّاب، دع عنك طلبة المدارس؛ إذ فيها من رصين الأقوال، وبديع الآي، ومحكم المباني، وفاتن المعاني، ما يزري بنضيد اللآلئ، ولهذا أرى من واجبي أن أوصي بإيثار هذه المجموعة المتفوقة على جميع ما كتب أو وُضع في معناها؛ لأن الطالب -طالب العربية، متعلمًا كان، أو معلمًا- لا يجد مثل هذا النظيم مسلسلًا إلا في هذا السمط البديع الترتيب.

فللهِ درُّ جامعه، فإن فضله عظيم لا ينكر؛ وهل تنكر الشمس في رائعة النهار؟».

❁❁❁

---

(١) هم الذين يحضرون السوق بغير رأس مال، فإذا اشترى أحد شيئًا دخلوا معه فيه.

فاتحة الكتاب

جمعتُ هذه الأقوالَ لِيرويَها نَشْءُ العرب فيهتدوا بهداها. وإنّها لَمِن أحسنِ الحديث وأكرم القول، قد شَرُفَ لفظها ومعناها. وهي إن رصّنَها الأستاذ ذو الفضل والوطنية معرفةً، وتلقّنها التلميذُ الكَلِفُ ببلاده والراغب في العلم تَلَقُّنًا جيّدًا جَلَتْ فائدتُها، وجاء النُّجح، وكان الخير، وإنَّ على الأستاذ الكريم أنْ يُوَظِّفَ على كل صفٍّ من صفوفِ المدرسة استظهارَ ما استعدَّت قدرةَ الطُّلَّابِ له من هذه الأقوال. فإنّها -وإنْ قَرُبَ متناوَلُها لِمُجْتَنِيهَا، ومشت السهولةُ مَعَ كل قول فيها- درجاتٌ متفاوتات، وقد بيَّن دستور التدريس المقدارَ المفروض حفظُه على كل صف -ابتدائيّ أو ثانوي-، وليس يسوغ لمؤدِّب تكليفُ القوم حِفْظَ القول إلا من بعد توضيحه. وتبيينُ الكلام ظهيرُ استظهارِه، وهذه الأقوالُ كُلُّها للمتقدمين إلّا قولًا من النثر واحدًا أشاد بذكر العربية، وحبّبَهَا إلى أهلها، ونعى عليهم تفريطَهم في جنب لغتهم، فجوّز ذلك إضافتَهُ إليها.

واعلم يا فتى أَنَّ المتقدمين هم الأعلَوْنَ، وهم المتقدمُون، وهُم المُجَلُّونَ في حَلْبَةِ العلم العَرَبيِّ والأدب، وهم السابقون، وإنّما دَأْبُنَا في هذا الزمان أن نستهديهم وهُمْ هداةُ الحائر، فَيَهدون[١]، ونَأْتَمَّ بهم، وهم الأئمةُ فيُرشِدون،

---

(١) رفعت يهدون وأمثالها على القطع، ويقطع مع الفاء التي لغير السببية.

ونسألهُمْ من فضلهم وهم الكرامُ البحورُ، فيُحْسِبُون[١]، ونَجْدُوَهُمْ[٢] والجودُ من شناشنهم، فيجودون[٣].

إسعاف النشاشيبي

❀❀❀

(١) أحسبه: أعطاه ما يرضيه حتى قال حسبي.

(٢) نجدوهم: نسألهم.

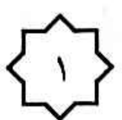
(٣) شرحت غريب هذه المجموعة جميعه، وقد وجدت أقوالًا شرحها السلف الصالح قبلي فاستعنت بشرحهم، فالشرح جله لي، والفضل كله لهم.



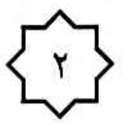
من الكتاب العربي الكريم[1]



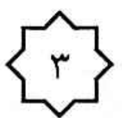
(١) شرح ما أخذ من الكتاب الكريم (للزمخشري) إلا كلمات قليلة.



﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٨٤][1].



﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة: ١٤٨][2].



﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة: ١٠٠][3].



﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧][4].

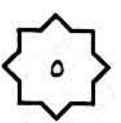
---

(١) أي على فطرته ومذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة.

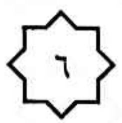
(٢) الوجهة كالجهة: كل موضع استقبلته وتوجهت إليه. أي لكل وجهة في هذه الحياة.

(٣) أي: لا تعجبوا بكثرة الخبث حتى تؤثروه لكثرته على القليل الطيب، فإن ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث، وفوات الطيب، وهو عام في حلال المال وحرامه، وصالح العمل وطالحه، وصحيح المذاهب وفاسدها، وجيد الناس ورديئهم.

(٤) الزبد: ما يعلو الماء وغيره من الرغوة، والزبد الخبث. الجفاء: ما يرميه السيل. هذا مثل للحق وأهله والباطل وحزبه، شبه الباطل في سرعة اضمحلاله، ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل يرى به ويزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب. والفلز: اسم جامع لجواهر الأرض كلها.



﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦-٧][1].



﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢][2].



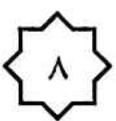
﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [البقرة: ٢٥١][3].

---

(١) يطغى: يجاوز القدر والحد ويسرف في المعاصي. أن رآه: أن رأى نفسه. يقال في أفعال القلوب: رأيتني وعلمتني، وذلك بعض خصائصها. ومعنى الرؤية العلم، ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين.

(٢) أبين: امتنعن. أشفقن: خفن. الأمانة: قيل: العقل أو التكاليف، أي إن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه أن يحمله ويستقل به، فأبى حمله والاستقلال به، وأشفقن منه، وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته. ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب، وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم. من ذلك قولهم: لو قيل للشحم أين تذهب؟ لقال: أسوي المعوج. وكم كم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات. وتصور مقاولة الشحم محال، ولكن الغرض أن السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه، كما أن المجف مما يقبح حسنه، فصور أثر السمن تصويرًا هو أوقع في نفس السامع، وهي به آنس، وله أقبل، وعلى حقيقته أوقف، وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها.

(٣) أي ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض، ويكف بهم فسادهم؛ لغلب المفسدون، =



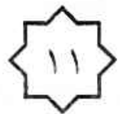
﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢][1].



﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠][2].



﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].



﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام: ١٢٩][3].

= وفسدت الأرض وبطلت منافعها، وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل، وسائر ما يعمر الأرض.

(١) سخر فلان فلانًا سخريًا: كلفه ما لا يريده وقهره. زيد الياء في المصدر للمبالغة، أي لم يسو الله بين الناس، ولكن فاوت بينهم في أسباب العيش، وغاير بين منازلهم. فجعل منهم أقوياء وضعفاء، وأغنياء ومحاويج، وموالي وخدما؛ ليصرف بعضهم بعضًا في حوائجهم، ويستخدموهم في مهنهم، ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا، ويصلوا إلى منافعهم، ويحصلوا على مرافقهم.

(٢) المراد بالأيام أوقات الظفر والغلبة. نداولها: نصرفها بين الناس، نديل تارة لهؤلاء، وتارة لهؤلاء كقوله وهو من أبيات الكتاب:

فيومٌ علينا ويوم لنا ❊ ❊ ويوم نُساءُ ويوم نُسَرّ

ومن أمثال العرب: «الحرب سجال».

(٣) يسلط الله بعض الظالمين على بعض بسبب ما كسبوا من المعاصي.



﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: ١١٧][١].



﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥][٢].



﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء: ١١٦][٣].

---

(١) استحال في الحكمة أن يهلك الله القرى ظالمًا لها؛ وأهلها قوم مصلحون تنزيهًا لذاته عن الظلم، وإيذانًا بأن إهلاك المصلحين من الظلم.

(٢) الذكر: أم الكتاب، يعني اللوح.

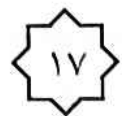
(٣) المترف: المتنعم لا يمنع من تنعمه، والمتروك يصنع ما يشاء ولا يمنع. فسق: جار عن طريق الحق. دمر: خرب. أردنا أن نهلك قرية: أي دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إمهالهم إلا قليل. أمرنا مترفيها، أي: أمرناهم بالفسق ففعلوا، والأمر مجاز، ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبًا، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه. وإنما خولهم إياها ليشكروا، ويعملوا فيها الخير، ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء، وأقدرهم على الخير والشر، وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية، فآثروا الفسوق، فلما فسقوا حق عليهم القول، وهو كلمة العذاب، فدمرهم. وقرئ: أمّرنا بتشديد الميم.

١٥

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].



﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].



﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦][1].

---

(١) أي: إن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها، وإنما العمى بقلوبهم، أو لا يعتد بعمى الأبصار، فكأنه ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب.

فإن قلت: أي فائدة في ذكر الصدور.

قلت: الذي قد تعورف واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها. واستعماله في القلب استعارة ومثل، فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة، ونفيه عن الأبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار، كما تقول: ليس المضاء للسيف، ولكنه للسانك الذي بين فكيك، فقولك: الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت؛ لأن محل المضاء هو هو لا غير، وكأنك قلت: ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهوًا مني، ولكني تعمدت به إياه بعينه تعمدًا.

١٨

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الروم: ٩][1].



﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام: ٣٨].

٢٠

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢][2].

٢١

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١][3].

❁❁❁

---

(١) أثاروا: حرثوا. أي ما كان تدميره إياهم ظلمًا؛ لأن حاله منافية للظلم، ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم.

(٢) الحرور: الحر الدائم. الأعمى والبصير: الضال والمهتدي. الظلمات والنور: الحق والباطل.

(٣) اللام مجاز على معنى أن ظهور الشرور بسببهم. مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم إرادة الرجوع أو أن الله أفسد أسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض أعمالهم لعلهم يرجعون عما هم عليه.



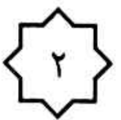
من كتاب الصحيح[١]



(١) في هذا العنوان تجوّز من المؤلف، ولو قال: الأحاديث النبوية لكان أولى. [الشايع].



«إنَّ المؤمنَ يَرى ذنوبه كأنَّهُ قاعِدٌ تحت جبَلٍ يخافُ أن يقعَ عليه، وإنَّ الفاجرَ[(١)] يرى ذنوبَه كذُبابٍ مَرَّ على أنفه». [البخاري (٦٣٠٨) موقوفًا على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].



«كُلٌّ يعمل لِمَا خُلِق له». [البخاري (٦٥٩٦)، ومسلم (٢٦٤٩)].



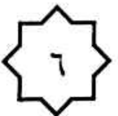
«الجنةُ أقربُ إلى أحدِكم من شِراك[(٢)] نَعله، والنار مثل ذلك». [البخاري (٦٤٨٨)].



«تجِدُون النَّاسَ مَعادنَ[(٣)] خِيارُهم في الجاهليَّة خيارُهم في الإسلام». [البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٥٢٦)].



«مَن لم يَدَعْ قولَ الزّورِ والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يدعَ طعامَهُ وشرابَه». [البخاري (١٩٠٣)].



«لَأَنْ يُهدَى بك رجلٌ واحدٌ خيرٌ لك من حمْرِ النَّعم»[(٤)]. [البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦)].

---

(١) الفاجر: العادل عن الحق، والمنبعث في المعاصي.

(٢) الشراك: قطعة من الجلد مستطيلة.

(٣) المعدن: منبت الجواهر من ذهب وفضة وحديد.

(٤) حمر النعم: الجمال الحمر، وهي عندهم أشرف الأموال.



«حفَّتِ النَّارُ بالشَّهواتِ، والجَنَّةُ بالمكاره»[(١)]. [البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٢)].



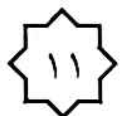
«الأرواحُ جنودٌ مجَنَّدةٌ، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[(٢)]. [البخاري (٣٣٣٦)، ومسلم (٢٦٣٨)].



«لا تسأل الإمارةَ؛ فإنَّكَ إن أُوتِيتهَا عن مَسئَلةٍ وُكِلْتَ[(٣)] إليها، وإن أوتيتهَا عن غير مسئلة أُعِنتَ عليها». [البخاري (٦٧٢٢)، ومسلم (١٦٥٢)].



«إن في الجسدِ مُضغَةً إذا صَلَحَتْ صَلحَ الجسد كُلُّهُ، وإذا فسَدت فَسد الجسد كلُّه، ألَا وهي القلبُ». [البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)].



«مَن أخذ أموالَ الناسِ يُريدُ أداءها أَدَّى اللهُ عنه، ومن أخذها يريد إتلافَها أتلفه اللهُ». [البخاري (٢٣٨٧)].

---

(١) الجنة لا يتوصل إليها إلا بقطع مفاوز المكاره، والنار لا ينجى منها إلا بترك الشهوات.

(٢) جنود مجندة: جموع مجمعة. تعارف منها: توافق في الصفات، وتناسب في الأخلاق.

(٣) وكلت: سلمت وتركت.



«السَّاعي على الأَرملةِ والمسكينِ كالمُجاهد في سبيلِ الله، أو القائمِ الليلَ الصائمِ النَّهارَ[1]». [البخاري (٥٣٥٣)، ومسلم (٢٩٨٢)].



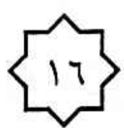
«إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لكلِّ امرِئٍ ما نَوَى». [البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)].



«لا يُؤمنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسِه». [البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)].



«تَجدون شَرَّ النَّاسِ ذا الوجهينِ، يأتي هَؤلاءِ بوجهٍ، ويأتي هؤلاء بوجه». [البخاري ٣٤٩٣)، ومسلم (٢٥٢٦)].



«إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظرِ الساعةَ، فقيل: كيف إضاعتُها؟ قال: إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله[2]». [البخاري (٦٤٩٦)].

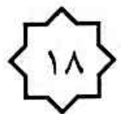
---

(١) الساعي على الأرملة: الكاسب لها، القائم بمصالحها.

(٢) وسد: جُعل.

١٧

«لا تَختَلِفُوا؛ فإنَّ مَن كان قبلكم اختلفوا فهلكوا». [البخاري (٢٤١٠)].



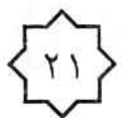
«لعن النبيُّ ﷺ المُخَنَّثِين[1] من الرجال». [أحمد (٢١٢٣)، وأبو داود (٤٩٣٠)].



«نَهى النبيّ ﷺ أن يَتَزَعْفَرَ[2] الرجلُ». [البخاري (٥٨٤٦)، ومسلم (٢١٠١)].



«قال النبيُّ ﷺ لِسعد: إنَّكَ أَنْ تَذَرَ ورثتك أغنياءَ خَيْرٌ مِن أن تَذَرَهم عالةً يَتكفَّفون الناسَ[3]». [البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨)].



«بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ اشتَدَّ عليه العطشُ، فوجدَ بئْرًا، فنَزَل فيها فشَرِبَ، ثمَّ خرج، فإذا كلبٌ يلهَثُ[4] يأكلُ الثَّرى[5] من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثلَ الذي كان بلغَ بي، فنزلَ البئرَ فملأ خُفَّهُ[6] ثُمَّ أمسكه

---

(١) المخنث: الذي في كلامه لين، وفي أعضائه تكسر.

(٢) التّزعفر: التطيب بالزعفران (وما شاكله).

(٣) عالة: فقراء. يتكففون الناس: يطلبون الصدقة من أكف الناس، أو يسألونهم بأكفهم.

(٤) يلهث: يخرج لسانه من العطش.

(٥) الثرى: التراب الندي.

(٦) الخف: واحد الخفاف التي تلبس في الرجل؛ سمي به لخفته.

بفيه، فسقى الكلبَ، فشكرَ اللهُ له، فغفرَ له. قِيلَ: يا رسولَ الله، وإن لنا في البهائِم أجرًا؟ فقال: في كل ذات كبِدٍ رطبةٍ أجْرٌ». [البخاري (٢٤٦٦)، ومسلم (٢٢٤٤)].



«كان النبيُّ يحدِّث حديثًا لو عدَّه العادُّ لَأَحصاه[١]». [البخاري (٣٥٦٧)].



«إنَّما الأعمالُ بخواتيمها». [البخاري (٦٤٩٣)].



«يذهب الصالحون الأوَّلُ فالأولُ، ويبقى حُفالةٌ كحفالةِ الشَّعيرِ أو التمر، لا يُبَالِيهِم اللهُ بَالَةً[٢]». [البخاري (٦٤٣٤)].



«إياكم والظَّنَّ[٣] فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تَحَسَّسُوا[٤] ولا تَجَسَّسُوا، ولا تناجشوا[٥]، ولا تَحَاسَدُوا، ولا تَبَاغَضُوا، وكونُوا عبادَ الله إخوانًا». [البخاري (٥١٤٣)].

---

(١) ليتدبر هذا القول كل ثرثار في المجالس مهذار. وفي «الكامل» قال النبي لجرير بن عبدالله البجلي: «**إذا قلت فأوجز، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف**» [أخرجه ابن عساكر عن عيسى بن يزيد مرسلًا. كنز العمال (٦٨٦٤)].

(٢) الحفالة: الرديء من كل شيء. لا يباليهم الله بالة: أي لا يرفع لهم قدرًا ولا يقيم لهم وزنًا، وبالة: مصدر باليت بالية، فحذفت لامه لكثرة الاستعمال لكراهية ياء قبلها كسرة.

(٣) المراد ما ينشأ عن الظن، فوصف به الظن مجازًا.

(٤) لا تحسسوا: أي لا تتحسسوا، حذف التاء، وهذا كثير. والتحسس: تطلب الأخبار.

(٥) النجش: أن يزيد في السلعة وهو لا يريد شراءها ليوقع غيره فيها.



«الحياء لا يأتي إلَّا بخير». [البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧)].



«إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت[1]».[البخاري (٣٤٨٤)].



«إن اللهَ كره لكم قيلَ وقالَ، وكثرةَ السؤال، وإضاعة المال». [البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣)].



«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قيل: يا رسولَ اللهِ هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالِمًا؟ قال: تأخذ فوق يديه[2]».[البخاري (٢٤٤٤)].



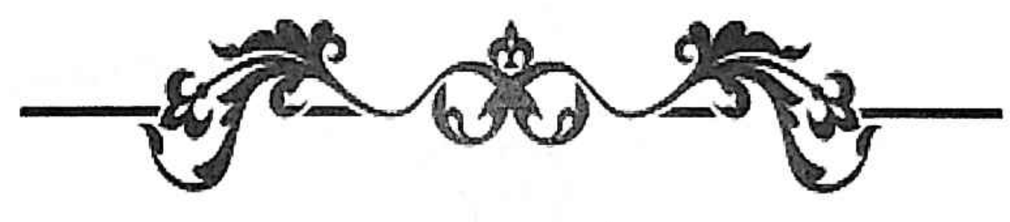
«إن اللهَ لا يقبِضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناسُ رؤساءَ جُهَّالًا، فَسُئِلوا فأَفْتَوْا بغير علم، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا». [البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٣٧)].

❁❁❁

---

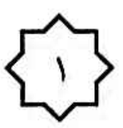
(١) تهديد، مثل قولهم: اعملوا ما شئتم.

(٢) كناية عن منعه عن الظلم بالفعل إن لم يمتنع بالقول. وعبر بالفوقية إشارة إلى الأخذ بالاستعلاء والقوة.

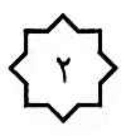


من أمثال العرب

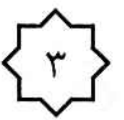




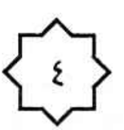
المرء حيثُ يضَعُ نَفسَه.



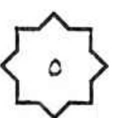
مَن ترَكَ الشهواتِ عاش حرًّا.



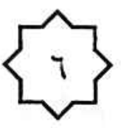
الصدقُ عِزٌّ، والكَذِبُ خُضوعٌ.



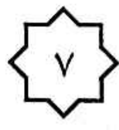
عزُّ الرَّجُلِ استِغْنَاؤه عن الناسِ.



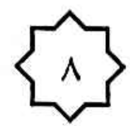
ظَمَأٌ قامِحٌ خيرٌ من رِيٍّ فاضح[1].



لن يَهلِكَ امرؤٌ عرَف قدره.



لا تصحبْ من لا يرى لك من الحقِّ مثل ما ترى له.



الإفراط[2] في الأنس مَكْسَبةٌ لِقُرَناءِ السّوءِ.

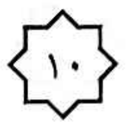
---

(١) العطش الشديد خير من ري يفضح صاحبه.

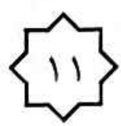
(٢) أفرط في الشيء: بالغ فيه.



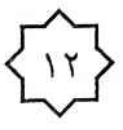
لا تَمازِحِ الشَّريفَ فيحقدَ عليك، ولا الدنيءَ فيجترئ عليكَ.



الوَحدةُ خيرٌ من جليسِ السُّوءِ.



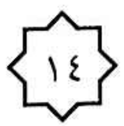
الدنيا قروضٌ ومكافآت.



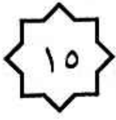
الناس شجرةُ بغْيٍ[١].



إيَّاك وأعراضَ الرِّجالِ[٢].



تركتني خِبرةُ الناسِ فردًا.

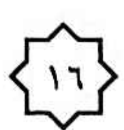


كلُّ صمتٍ لا فِكْرَةَ فيه فهو سَهْوٌ.

---

(١) إنما جعلهم شجرة بغي إشارة إلى أنهم ينبتون وينمون عليه.

(٢) من كلام يزيد بن المهلب فيما أوصى ابنه: إياك وأعراض الرجال؛ فإن الحر لا يرضيه من عرضه شيء.



للباطل جولةٌ ثُمَّ يَضْمَحِلُّ(١).



ما فجرَ غيورٌ قَطُّ(٢).



العَجْز رِيبةٌ(٣).



في الاعتبار غنىً عن الاختبار(٤).



رضى(٥) الناسِ غايةٌ لا تُدركُ.

---

(١) يضمحل: يذهب ويبطل.

(٢) يعني أن الغيور هو الذي يغار على كل أنثى.

(٣) يعني أن الإنسان إذا قصد أمرًا وجد إليه طريقًا، فإن أقر بالعجز على نفسه ففي أمره ريبة.

قال بعضهم: هذا أحق مثل ضربته العرب.

(٤) أي من اعتبر بما رأى استغنى عن أن يختبر مثله.

(٥) يكتب الكوفيون ما كان على وزن فُعل أو فِعل من المقصور بالياء، وإن كانت ألفه من بنات الواو، ويتسع غيرهم الأصل المقلوبة عنه الألف.



إياك والسآمةَ في طلب الأمور فتَقْذِفُك[١] الرجالُ خلفَ أعقابها[٢].



اتَّقِ شرَّ مَنْ أحسنتَ إليه.



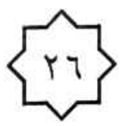
رُبَّ كلمة سلبت نعمة.



عبدُ غيرِك حُرٌّ مثلُك.



رأي الشيخ خيرٌ من مشهدِ الغلام[٣].



إنَّما يجزِي الفتى ليسَ الجَمل[٤].



إذا ترضيتَ أخاك فلا أخا لك[٥].

---

(١) برفع هذا الفعل لا نصبه.

(٢) العقب: مؤخر القدم. يضرب في الحث على الجد في الأمور وترك التفريط فيها.

(٣) مشهد حضور.

(٤) يضرب في المكافأة، أي: إنما يجزيك من فيه إنسانية لا من فيه بهيمية.

(٥) الترضي الإرضاء بجهد ومشقة، أي: إذا ألجأك أخوك إلى أن تترضاه وتداريه فليس هو بأخ لك.



البغيُ آخِرُ مدَّةِ القوم[١].



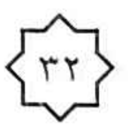
ليس للأمورِ بصاحب مَنْ لم ينظر في العواقب.



مِن العجزِ والتَّوَاني نتجَت الفاقةُ[٢].



مقتل الرجل بين فكَّيه[٣].



إذا زلَّ العالِمُ زَلَّ بزلَّته عالَمَ[٤].



إذا نصر الرأيُ بَطل الهوى[٥].

---

(١) يعني أن الظلم إذا امتد مداه آذن بانقراض مدتهم.

(٢) الفاقة: الفقر.

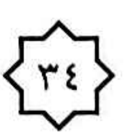
(٣) ومن أمثالهم أيضًا في هذا المعنى: إن البلاء موكل بالمنطق.

(٤) لأن للعالم تبعًا فهم به يقتدون. قال الشاعر:

إنَّ الفقيه إذا غوى وأضاعه ** قوم غوَوْا معه فضاع وضيعا

مثلُ السفينة إن هوت في لجة ** تغرق ويغرق كل ما فيها معا

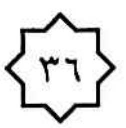
(٥) يضرب في اتباع العقل.



حسبُكَ من شرٍّ سماعُه[١].



رُبَّما أراد الأحمقُ نفعَكَ فأضرَّك.



الشماتَةُ لؤم[٢].



الدالُّ على الخير كفاعله.



أخوكَ من صَدَقَك النصحيةَ[٣].



إن لم يكن وِماقٌ فَفِراقٌ[٤].

---

(١) يكفيك سماع الشر وإن لم تقدم عليه وتنسب إليه.

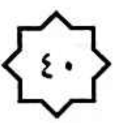
(٢) لا يفرح بنكبة الإنسان إلا من لؤم أصله. ومن أقوالهم:

إذا ما الدهر جر على أناس ❊ ❊ كلاكلـه أنـاخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقـوا ❊ ❊ سيلقى الشامتون كما لقينا

(٣) أي صدقك في النصيحة، فحذف، وأوصل الفعل. وفي بعض الحديث: «الرجل مرآة أخيه»، أي إذا رأى منه ما يكره أخبره به، ونهاه عنه.

(٤) أي إن لم يكن حب في قرب فالوجه المفارقة.



إذا قام جناةُ الشَّر فاقعُدْ.



اتْركِ الشَّرَّ يتركك.



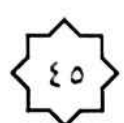
إذا أخذتَ عملًا فَقَعْ فيه؛ فإنَّ خَيبتَه تَوقّيه(١).



إن كَذِبٌ نَجَّى فَصِدْقٌ أخلقُ(٢).



شَرُّ الناسِ مَنْ لا يُبالي أن يَراهُ الناسُ مُسيئًا.



خَالِطوا الناسَ وزايلوهم(٣).

---

(١) أي إذا بدأت بأمر فمارسه ولا تنكل عنه، فإن الخيبة في الهيبة.

(٢) أي إن نجى كذب فصدق أجدر وأولى بالتنجية. قال الزمخشري يصف الصدق والكذب: «لو مثل الصدق لكان أسدًا يروع، ولو صوَّر الكذب لكان ثعلبًا يروغ. فلأن تكون فجوة فيك كأنها عرين ليث أغلب، خير من أن تكون كأنها وجار ثعلب»، «يروع» يفزع. «يروغ» يمكر ويخدع. «فجوة الفم» متسعه. «عرين الأسد» مأواه. «الأغلب»: الغليظ الرقبة. «وجار الثعلب»: بيته.

(٣) أي عاشروهم في الأفعال الصالحة، وفارقوهم في الأخلاق المذمومة.



مَنْ طلب شيئًا وجده.



المرء بخليله فلينظرِ امرؤٌ من يخالِلُ[(١)].



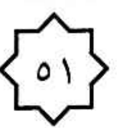
ليس عتابُ النَّاسِ للمرءِ نافعًا ... إذا لم يكن للمرء لبٌّ يُعاتِبُهْ[(٢)]



الكُفر مَخْبُثةٌ لنفس المُنعِم[(٣)].



طاعةُ النساءِ ندامةٌ.



الحرُّ يُعطي، والعبدُ يألَمُ قَلْبُه[(٤)].

---

(١) أي مقيس بخليله. قال عدي بن زيد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ❊ ❊ فكل قرين بالمقارن يقتدي

(٢) في البيت خرم (وهو سقوط حركة من أول بيت الشعر)، والخرم كثير في أشعارهم. [والصواب: وليس عتاب... إلخ].

(٣) يعني: أن كفر النعمة يفسد قلب المنعم على المنعم عليه.

(٤) يعني: أن اللئيم يكره ما يجود به الكريم.



إنَّ النساءَ شقائقُ الأقوامِ[١].



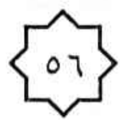
التقيُّ مُلْجَم[٢].



الحزمُ حفظُ ما كُلّفتَ، وتركُ ما كُفِيت.



من سلك الجددَ أمِنَ العِثارَ[٣].



رُبَّما كان السكوتَ جوابًا.



تقاربوا بالمودَّة، ولا تتكلوا على القرابة.



الخير عادة، والشر لجاجة[٤].

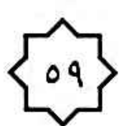
---

(١) إن النساء مثل الرجال، وشققن منهم، فلهن مثل ما عليهن من الحقوق.

(٢) أي كأن له لجامًا يمنعه من العدول عن سنن الحق قولًا وفعلًا.

(٣) الجدد الأرض المستوية.

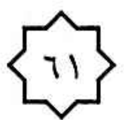
(٤) جاء في الأساس: وفي الحديث: «تعودوا الخير فإن الخير عادة، والشر لجاجة» [ابن ماجه (٢٢١)]. أي دربة، وهو أن يعوده نفسه حتى يصير سجية له، وأما الشر فالنفس تلج في ارتكابه لا تكاد تخليه.



الحق أبلج، والباطل لَجْلَجٌ[١].



الرَّباحُ مَعَ السَماحِ[٢].



اِعقِلْ وتَوَكَّلْ[٣].



قبلَ الرمي يُرَاشُ السَّهمُ[٤].



الحكمةُ ضالَّةُ المؤمن[٥].

---

(١) أبلج: واضح. لجلج: ملتبس يتردد فيه صاحبه ولا يصيب منه مخرجًا.

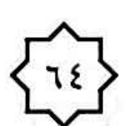
(٢) أي المساهلة في الأشياء تربح صاحبها.

(٣) يضرب في أخذ الأمر بالحزم والوثيقة. يروى أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أؤرسل ناقتي وأتوكل؟ قال: «**اعقلها وتوكل**»، (كتبت أؤرسل كما ترى اتباعًا لقاعدة الهمزة) [رواه الترمذي (٢٥١٧)].

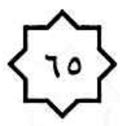
(٤) يضرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها.

السهم المريش: الذي ألصق عليه الريش ليحمله في الهواء كما يحمل الطائر.

(٥) يعني: أن المؤمن يحرص على جمع الحِكم من أين يجدها يأخذها.



إياكم وخضراءَ الدِّمن[١].



أوَلُ الحزمِ المَشُورةُ[٢].



الحياء في غير موضعه ضَعف.



خير الناس من فَرِحَ للناس بالخير.



دَلَّ على عاقلٍ اخْتيارُهُ.



الرِّفقُ يُمْنٌ، والخُرقُ شؤْم[٣].

---

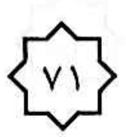
(١) يعني المرأة الحسناء في منبت السوء، وإنما جعلها خضراءَ الدمن لأنه ربما نبت فيها النبات الحسن، فيكون منظره حسنًا أنيقًا، ومنبته فاسدًا. والدمن المزبلة.

(٢) المشورة: استخراج الرأي. ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: الرجال ثلاثة: رجل ذو عقل ورأي، ورجل إذا حزبه أمر أتى ذا رأي فاستشاره، ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدًا ولا يطيع مرشدًا.

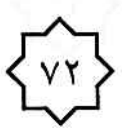
(٣) اليمن: البركة. الرفق: ضد العنف، والخرق يضرب في الأمر بالرفق، والنهي عن سوء التدبير، وفي الحديث: **«ما دخل الرفق شيئًا إلا زانه»** [رواه مسلم (٢٥٩٤)].



الصناعةُ في الكفِّ أمان من الفقر.



عند الصباح يَحْمَدُ القوم السُّرَى[١].



عِلمان خير من علم[٢].



عَمُّ العاجز خُرْجُهُ[٣].



في التجارِب علم مستأنف[٤].

---

(١) السرى: سير الليل، يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة.

(٢) سلك رجل وابنه طريقًا فقال الرجل: يا بني استبحث لنا عن الطريق، فقال: إني عالم، فقال: يا بني علمان خير من علم. يُضرب في مدح المشاورة والبحث.

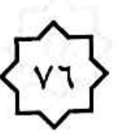
(٣) خرج رجل مع عمه إلى سفر ولم يتزود اتكالًا على ما في خرج عمه، فلما جاع قال: يا عم أطعمني، فقال له عمه: عمك خرجك. يضرب لمن يتكل على غيره.

(٤) مستأنف: جديد.

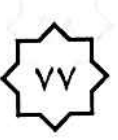
التجارِب بكسر الراء لا بضمها كما يظن كثير ممن يشكلون الكتب في المطابع.



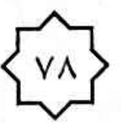
كما تَدينُ تُدانُ[١].



أَلْقِ دَلْوَكَ في الدِّلاءِ[٢].



لولا جِلادي غُنِمَ تِلَادي[٣].



لم يَجُرْ سالك القَصْدِ، ولم يعمَ قاصدُ الحق[٤].



لو لم يترك العاقلُ الكذبَ إلَّا للمروءة لكان حقيقًا بذلك، فكيف وفيه المأثمُ والعارُ.



ما الإنسانُ لولا اللسانُ إلا صورة مُمَثَّلَةٌ، وبَهيمة مُهْمَلَةٌ[٥].

---

(١) إن عملت عملًا حسنًا فجزاؤك حسن، وإن عملت عملًا سيئًا فجزاؤك سيئ.

(٢) يضرب في اكتساب المال والحث عليه.

(٣) التلاد: المال القديم، والطارف: المال الحديث. يقول: لولا مدافعتي عن مالي سلب وأخذ.

(٤) أي: من سلك سواء السبيل لم يحتج إلى أن يجور عنه.

(٥) يضرب في مدح القدرة على الكلام.



المرءُ بِأصغريه[1].



مَن استرعى الذئبَ ظلم[2].



من قَلَّ ذَلّ، ومن أمِرَ فَلَّ[3].



من ضَعُف عن كسبه اتَّكلَ على زادِ غيرِهِ.



مَن اتكل على زاد غيره طال جوعُه.



من لم يُحسن إلى نفسه لم يحسن إلى غيره.



هلك من تبع هواه.

❁❁❁

---

(١) يعني بهما القلب واللسان، قال:

وكائن ترى من صامت لك معجب ❁ ❁ زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ❁ ❁ فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

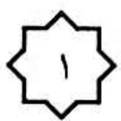
(٢) أي ظلم الغنم. يضرب لمن يولي غير الصادق الأمين.

(٣) أمر: أي كثر، يعني: من قل أنصاره غلب، ومن كثرت جماعته فلَّ أعداءه، أي: كسرهم.

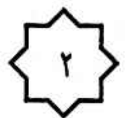


من أقوال العرب

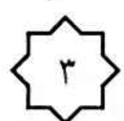




قال ابن الحَنفية: مَن كَرُمت عليه نفسُه هانت عليه الدنيا.



قال إياسُ بن مُعاوية المُزَني: واللهِ ما يسرُّني أنّي كَذَبتُ كَذْبةً يغفِرُها اللهُ لي ولا يَطَّلِع إلّا هذا -وأومأ[1] إلى أبيه- وَلِي ما طَلعتْ عليه الشمسُ.



قال عَمْرُو بن عُبيد: لقد رضتُ نفسي رياضةً لو أردتُها على ترك الماء لتركته[2].



سُئِل الحسن البَصريّ عن عمرو بن عبيد فقال للسائل: لقد سألت عن رَجُلٍ كأنَّ الملائكةَ أدبتْه، وكأنَّ الأنبياءَ رَبَّتْهُ، إن أمَرَ بشيء كان ألزمَ الناس له، وإن نهى عن شيء كان أتركَ الناسِ له، ما رأيتُ ظاهرًا أشبهَ بباطن منه، ولا باطنًا أشبهَ بظاهر منه.



قيل لعبدالملك: كان مصعب يشرب الطلاء[3]؛ فقال: لو علم مصعبٌ أنَّ الماءَ يفسِد مروءته ما شَرِبه.

---

(١) أومأ: أشار.

(٢) أراده على كذا: حمله عليه.

(٣) الطلاء: الخمر.



قال أعرابي: والله لولا أنَّ المُروءَةَ ثقيلٌ مَحْملَها شَديدةٌ مَؤونَتُها[١] ما ترك اللِّئامُ للكرامِ منها شيئًا.



قال يزيد بنُ عبدالملك: لَمَّا أُتِيَ برأسِ يزيدَ بنِ المُهَلَّبِ؛ فنال[٢] منه بعضُ جُلَسائِهِ: إنَّ يزيدَ رِكِبَ عظيمًا، وطَلب جَسيمًا، ومات كريمًا.



أثْنَى رجلٌ على عَليٍّ فأفْرَطَ[٣] وكان عَلِيٌّ له مُتهِمًا[٤]؛ فقال: أَنا دونَ ما تقولُ، وفوق ما في نفسِكَ.



كانَ مَسلَمةُ بن عبد الملك يقول: عونَك اللَّهُمَّ على أعباءِ السُّؤدُدِ[٥].

١٠

سمعَ الأحنفُ رجلًا يقول: ما أُبالي أَمُدِحتُ أم ذُمِمْتُ. فقال: لقد استرحت من حيث تعب الكرام.

---

(١) المروءة: النخوة وكمال الرجولية. مؤونتها: عُدتها.

(٢) نال منه: عابه.

(٣) أفرط: جاوز الحد.

(٤) اتهمه في كلامه: شك في صدقه.

(٥) العبء: الحمل. السؤدد: المجد.

١١

اغتابَ(١) رجلٌ رجلًا عند قتيبةَ بنِ مُسلمٍ فقال: أَمسِك عليك أيُّها الرجلُ؛ فوالله لقد تَلَمَّظْتَ(٢) بِمُضْغَةٍ طالما لفَظَتْها(٣) الكرامُ.



قال معاويةُ يومًا للأحنفِ بن قيس في شيء بلَغَه عنه؛ فأنكرَ ذلك الأحنفُ؛ فقالَ معاويةُ: بَلَّغَني(٤) عنك الثِّقَةُ، فقال له الأحنفُ: يا أميرَ المؤمنينَ الثقةُ لا يُبلِّغُ.



قيل لعُمَرَ بنِ عبدالعزيز: أيُّ الجهادِ أفضلُ؟ فقال: جهادُك هواك.



نظرَ معاويةُ إلى عسكر عَلِيٍّ يوم صفِّينَ فقال: مَن طلب عظيمًا خاطر بعظيمته. وأشار إلى رأسه.



قال سفيان الثوري: مَنْ عَرَف نفسه لم يَضْره ما قالَه الناسُ فيه.

---

(١) اغتابه: عابه في غيابه.

(٢) تلمظ: تتبع الطعم وتذوق. وتتبع بلسانه اللماظة، وهي بقية الطعام في الفم.

(٣) لفظ: طرح ورمى.

(٤) بلغ: أخبر.



قال عمر: من دخل على الملوك خرج وهو ساخط على الله.



قال خالد بنُ الوليد: لقد لقيتُ كذا وكذا زحفًا[١] وَمَا في جسمي مَوضِعُ شِبرٍ إلا وفيه ضَرْبةٌ أو طعنةٌ أو رميةٌ ثم هأنذَا أموت حتْفَ[٢] نفسي كما يَموتُ العَير[٣] فلا نامت أعينُ الجُبَنَاءِ.



قال الأحنف: كل عزٍّ لم يُوَطّد[٤] بعلم فإلى ذلٍّ ما يصير[٥].



قال بعضهم: مَن استحيا من الناسِ ولم يستحيِي من نفسه فليس لنفسه عند نفسه قدرٌ.



قال المهلّب: الإِقدامُ على الهَلَكةِ تغريرٌ[٦]، والإِحجامُ[٧] عن الفُرصةِ جبنٌ شديد.

---

(١) الزحف: المشيء إلى العدو، والزحف الجيش.

(٢) أي من غير ضرب ولا قتل.

(٣) العير: الحمار.

(٤) يوطد: يثبت ويقوى.

(٥) ما زائدة.

(٦) التغرير: تعريض النفس للهلكة.

(٧) الإحجام: التأخر، قال الحجاج لكعب بن معدان: كيف كانت محاربة المهلب للقوم =

٢١

قال بعضهم: واللهِ ما ذَلَّ ذو حقٍّ وإن أَطْبَقَ[١] العالمُ عليه، ولا عزَّ ذو باطل وإن طلع من جيبه القمرُ.



قال الأحنف: إني لأُجالسُ الأحمقَ الساعةَ فأَتَبيَّنُ ذلك في عقلي.



قال زيادُ بن ظبيان لابنه عُبيد الله: ألَا أوصي بك الأميرَ زيادًا. قال: يا أبتِ إذا لم يكن للحيِّ إلا وَصِيَّةَ الميتِ فالحَيُّ هو الميتُ.



قال معاوية: لعمرو بن سعيد: إلى من أوصى بك أبوك؟ قال: إنَّ أبي أوصى إليَّ ولم يُوصِ بِي. قال: وبِمَ أوصى إليك؟ قالَ: ألَّا يفقِدَ إخوانهُ منه إلَّا وجهه.



دخَلَ النخَّار العُذْريُّ على أحد الملوك في عَباءة فاحتقره، فرأى ذلك النخَّارُ في وجهه، فقال: ليست العَباءَةُ تكلِّمُك إنما يُكلِّمُكَ مَن فيها.

= «الخوارج»؟ قال: كان إذا وجد الفرصة سار كما يسير الليث، وإذا دهمته الطمحة راغ كما يروغ الثعلب، وإذا ماده القوم صبر صبر الدهر «سار وثب وثار، والطمحة يعني بها هجوم الجماعة الكبيرة. مادّه القوم: طاولوه».

(١) أطبقوا عليه: اتفقوا.



شهِد أعرابي عند ملك بشيء كَرِهَهُ، فقال له: كَذَبْتَ، فقالَ الأعرابي: الكاذبُ واللهِ مُتَزمِّلٌ[١] في ثيابك، فتبسَّمَ الملك وقال: هذا جزاء مَنْ عَجَّلَ.



قال عمرو بن العاصي: إذا أنا أفشيت[٢] سِرّي إلى صديقي فأذاعه فهو في حِلٍّ[٣] فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: أنا كنتُ أحقَّ بصِيَانَتِهِ.



قال زياد: يعجبني من الرجل إذا سِيمَ[٤] خُطَّةَ الضَّيْمِ[٥] أن يقول: «لا» بمِلْءِ فيه، وإذا أتى نادِيَ قوم علِمَ أَيْن ينبغي لمثله أن يجلسَ فجلس، وإذا ركب دابةً حملها على ما تُريد ولم يَبْعَثْها[٦] إلى ما تكرهُ.



كانَ أبو سفيان إذا نزل به جارٌ قال له: يا هذا إنَّك قد اخترتَنِي جارًا،

---

(١) متزمل: ملتف.

(٢) أفشى السر: نشره وأذاعه.

(٣) في حل: أي لا إثم عليه. ومن أمثال العرب: صدرك أوسع لسرك.

(٤) سيم: حمل وكلف.

(٥) الخطة: الأمر. الضيم: الذل.

(٦) يبعثها إلى ما تكره: يحملها على ما يزعجها.

واخترتَ داريَ دارًا، فجنايةُ يَدِكَ عليَّ دُونَكَ[١] وإن جَنَتْ عليك يَدٌ فاحتكم عَلَيَّ حُكْمَ الصبيِّ على أهله[٢].



نُظِر إلى عمرو بنِ العاصي على بغلةٍ قد شَمِطَ[٣] وَجْهُهَا هَرَمًا، فقيل له: أتركبُ هذه وأنت على أكرمِ ناخِرةٍ[٤] بمصرَ؟ فقال: لا مَلل عندي لدابتي[٥] ما حملت رُجْلَتى[٦]، ولا لامرأتي ما أحسنت عشرتي، ولا لصديقي ما حفِظَ سِرِّي، إنَّ المَلَلَ من كواذِبِ الأخلاقِ.



قال سعدُ القَصْرِ: نَظَر عمر بنُ أبي عتبةَ رجلًا يَشْتِمُ عندي رجلًا فقال لي: ويلَك، وما قال لي: ويلَك قبلها: نَزِّهْ سمعَكَ عن استماعِ الخنا[٧] كما تُنَزِّهُ لسانَكَ عن الكلامِ بهِ فإنَّ السامِعَ شريكُ القائل، وإنَّهُ قد عَمَد إلى شَرِّ ما في وعائِهِ فافرغهُ في وعائِكَ.

(١) جنى الذنب: أتاه. ومعنى جناية يدك عليَّ دونك أنها تتجاوزك وتتخطاك وتناط بي.

(٢) أي أن الصبي قد يطلب ما لا يوجد إلا بعيدًا، ويطلب ما لا يكون البتة.

(٣) شمط وجهها: خالط بياض شعرها سواد.

(٤) الناخرة: الخيل.

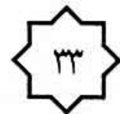
(٥) ما مصدرية زمانية.

(٦) الرجلة: المشي على الرجل.

(٧) الخنا: الفحش في الكلام من خنا يخنو. والخنى بالياء من خني يخنى.

٣٢

دعا طلحة بنُ عبيدالله أبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ؛ فأبطأ عنه الغلامُ بشيء أراده؛ فقال طلحةُ: يا غلامُ، فقال الغلامُ: لَبَّيْكَ[١] فقال طلحةُ: لا لبيك، فقال أبو بكر: ما يَسُرُّني أنِّي قُلتها[٢] وأنَّ لِيَ الدنيا وما فيها، وقال عمر: ما يَسُرُّني أنِّي قلتها وإن لي نصفَ الدنيا. وقال عثمان: ما يسُرُّني أني قلتها وإن لِي حُمْرَ النَّعَم[٣]، وصمتَ عليها أبو محمدٍ، فَلَمَّا خرجوا باعَ ضيعةً بخمسةَ عشرَ ألفَ درهمٍ فَتَصَدَّقَ[٤] بثمنها.



قال عمرُ: يقرّع[٥] عاملًا[٦] من عماله: متى تعبّدتُمُ[٧] الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا.

---

(١) لبيك: إجابة لك بعد إجابة.

(٢) بفتح الهمزة فإنه من مواطن فتحها.

(٣) حمر النعم: كرائمها، أي: أجلدها وأصبرها، مثل في كل شيء نفيس.

(٤) تصدق: أعطى صدقة، والصدقة: عطية يراد بها الثواب لا الذكر.

(٥) قرّع: عنف.

(٦) العامل في ذلك الزمان الوالي.

(٧) تعبدتم الناس: صيرتموهم كالعبيد لكم. قال بعضهم يصف عمر: كان عمر بن الخطاب يعدل في رعيته، ويجور على نفسه، ويطعمهم الطيب، ويأكل الغليظ، ويكسوهم اللين، ويلبس الخشن، ويعطيهم الحق ويزيدهم، ويمنع ولده وأهله. ولما جيء بتاج كسرى إلى عمر واستعظم الناس قيمته للجواهر التي كانت عليه قال: إن قومًا أدوا هذا لأمناء. فقال علي: إنك عففت فعفوا، ولو رتعت لرتعوا.



قال أبو بكر لخالد: اطْلُبِ الموتَ توهبْ لك الحياة.



قال الأحنف: مِنَ المروءة إذا كان الرجلُ بخيلًا أن يكتُمَ ذلك ويَتجمَّلَ.



رفع رجل من الأزد إلى المهلَّب سيفًا؛ فقال: يا عمٍّ كيف ترى سيفي هذا؟ فقال: إنَّه جيّد لولا أنَّه قصير. فقال: أطوّله يا عَمِّ بخُطوتي.



قال بعضهم: ضَرْبةٌ بسيف في عزّ خيرٌ من لطمة في ذُلّ.



أحبَّ الأصمعي أنْ يَستَثْبِتَ في كلمة «استخذيتُ»[1] أهي مهموزة أم غيرُ مهموزة. قال: فقلت لأعرابي: أتقول: استخذيتُ أم استخذأت، فقال: لا أقولهما. قلتُ: ولمَ؟ قال: لأنَّ العربَ لا تستخذي.



قال حكيم: اعص النساءَ وهواك، واصنَعْ ما شئْت.



قال المهَلّبُ: العجبُ لِمَنْ يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرارَ بمعروفه.

---

(١) استخذى: خضع.

٤١

قال بعضهم: من طلبَ عزًّا بباطل أورثه اللهُ ذِلًّا بحق.



قال أحد العرب: خيرُ الناس للناسِ خيرُهم لنفسه، «وذلك أنَّه إذا كان كذلك اتقى على نفسه من السّرق لئَلَّا يُقطعَ، ومن القتل لئلَّا يُقادَ[1] فسلم الناسُ منه باتقائه على نفسه».



كان الحسنُ البصريُّ يقول: لسان العاقل من وراءِ قلبه، ولسانُ الأحمق أمامَ قلبه، «فالعاقل إن عرض له القول نظر؛ فإن كان له أن يقول قال، وإن كان عليه القول أمسك، والأحمق إن عرض له القول قال: كان عليه أو له»[2].



قال معاوية يومًا للأحنف وحدثه حديثًا: أتكذبُ؟ فقال: والله ما كَذَبْتُ مُذ علمْتُ أن الكذبَ يشينُ أهله[3].

---

(١) يقتل.

(٢) روى الكامل هذا القول للحسن، ورواه الرضي لعلي، ثم قال: وهذا من المعاني العجيبة الشريفة، والمراد به أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الرؤية، ومؤامرة الفكرة. والأحمق تسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره، ومماخضة رأيه، فكأن لسان العاقل تابع لقلبه، وكأن قلب الأحمق تابع للسانه.

(٣) يشين: يعيب، والماضي شان، واسم الفاعل شائن لا مشين كما يقولون. ذكروا أنه لما مات الأحنف مشى مصعب بن الزبير في جنازته بغيرِ رداء، وقال: اليوم مات سيد العرب.

٤٥

لما أُحيطَ بالمصعب، قال لابنه عيسى: يا بُنيّ، انج إلى نجَائِكَ، فإن القومَ لا حاجةَ بهم إلى غيري، وستُفلتُ بحيلة أو بُقيا[١]؛ فقال: يا أبتَاهُ لا أحدِّثُ والله عنك أبدًا. فقال: أما والله لَئنْ قلتَ ذاك لَمَا زِلتُ أَتعَرَّفُ الكرمَ في أسرارِكَ[٢] وأنت تقَلَّبُ في مهدك.

٤٦

قال رجل للربيع بن خُثيم وقد صَلَّى ليلة حتى أصبحَ: أتعبتَ نفسَكَ، فقال: راحتَها أطلبُ، إن أفرهَ[٣] العبيد أكيسُهم[٤].



سأل عروةُ بن الزبير عبدَالملك أن يَرُدَّ عليه سيفَ أخيه عبدالله؛ فأخرجه إليه في سيوفٍ مُنتضَاةٍ[٥]، فأخذه عروةُ من بينها، فقال له عبدُالملك: بِمَ عرفتَه؟ فقال: بِما قال النابغةُ:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم   بهنّ فُلولٌ من قِرَاعِ الكَتَائِب[٦]

---

(١) البقيا: اسم لما بقي، أي: أنهم يرحمونك لصغرك فيبقون عليك.

(٢) أسرارك: خطوط جبهتك.

(٣) أفره العبيد: أحذقهم وأخفهم.

(٤) أكيسهم: أفطنهم.

(٥) منتضاة: مستلة من أغمادها.

(٦) فلول السيف: كسور حده، الواحد فل. المقارعة: المضاربة. الكتيبة: الجيش. يسمي=

٤٨

وفَدَ أوسُ بنُ حارثَةَ، وكان سيدًا مُقَدَّمًا، وحاتم بن عبد الله الطائفي على عمرو بن هند، فدعا أوسًا فقال له: أأنت أفضلُ أم حاتم؟ فقال: أبيت اللعنَ[1] لو ملكني حاتم وولدي ولُحمتي[2] لوهبنا في غداة واحدةٍ، ثُمَّ دعا حاتمًا؛ فقال له: أنت أفضل أم أوس؟ فقال: أبيت اللعن إنَّما ذُكرت بأوسٍ، ولَأحدُ ولدِه أفضلُ منِّي.

٤٩

قيل للمُغيرةِ بن شُعبةَ: إن بوابَك يأذن لأصحابه قبل أصحابك، فقال: إن المعرفة لتنفعُ عند الكلب العقُورِ[3] والجمل الصَّؤول[4] فكيف بالرجلِ الكريمِ.

٥٠

كان القعقاعُ بنُ شَوْرٍ إذا جالسه جليسٌ فعرَّفه بالقصد إليه جعل له نصيبًا في ماله، وأعانَهُ على عدوه، وشفع له في حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرًا

= البديعيون مثل قول النابغة المدح في معرض الذم، ومن شواهده الآية: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦].

(١) أبيت اللعن: تحية كانت تحيا بها ملوك الجاهلية، يريدون أنك أبيت الأمر الذي تلعن عليه إذا فعلته. وأصل اللعن الطرد.

(٢) اللحمة: القرابة، الجمع: لحم.

(٣) العقور: الجارح.

(٤) الصؤول: الذي يقتل الناس ويهجم عليهم.

حتى شُهِرَ بذلك، وفيه يقول القائل:

وكنتُ جليسَ قعقاعِ بنِ شور ... ولا يشقى بقعقاعٍ جليسُ
ضحوكُ السِّنِّ إن أمروا بخير ... وعِندَ الشَّرِّ مِطراقٌ(١) عَبُوسُ



قيل لبعضهم: بِمَ ينبُلُ(٢) الرَّجلُ عندكم؟ فقال: بترك الكذِب، فإنَّهُ لا يشرُفُ إلَّا من يوثَقُ بقوله، وبقيامِه بأمر أهله، فإنه لا ينبل من يحتاجُ أهلهُ إلى غيره، وبمجانبة الرَّيب(٣) فإنه لا يعزُّ مَنْ لا يُؤمَنُ أن يُصادفَ على سوءة. وبالقيامِ بحاجات الناس، فإنَّهُ مَنْ رُجِيَ الفرَج لديهِ كثُرت غاشيتهُ(٤).



كان كعبُ بن مامةَ إذا جاوره رجل فمات وداه(٥) وإذا هلك له بَعيرٌ أو شاة أخلفَ عليه(٦).

٥٣

قال الأحنف: السُّودد كرمُ الأخلاق وحسن الفعل.

---

(١) المطرق: الرامي ببصره إلى الأرض.

(٢) ينبل: ينجب ويفضل.

(٣) الريب: التهم.

(٤) الغاشية: القاصدون.

(٥) وداه: أعطى أهله ديته.

(٦) أخلف عليه: ردَّ عليه ما ذهب.

٥٤

قال بعض الأوائل: إنَّما الناس أحاديثُ؛ فإذا استطعتَ أن تكونَ أحسن الأحاديثِ حديثًا فافعلْ.



لَمَّا احتُضِرَ[(١)] قيسُ بن عاصم قال لبنيه: يا بَنِيَّ احفظُوا عنِّي ثلاثًا فلا أحدَ أنصحُ لكم منِّي: إذا أنَا مِتُّ[(٢)] فسَوِّدوا كِبَارَكم، ولا تُسَوِّدوا صغارَكم، فيحقرَ الناسُ كبارَكم، وتهونوا عليهم، وعليكم بحفظ المال، فإنَّه مَنْبَهَةٌ[(٣)] للكريم، ويُستَغْنَى به عن اللئيم، وإياكُم والمسألةَ فإنها أخِرُ[(٤)] كسب الرجل.



قال سعيد بن العاصي: قبَّحَ اللهُ المعروفَ إن لم يَكنْ ابتُدئ من غير مسألة، فالمعروف عوضٌ عن مسألة الرجل إذا بذل وجهَهُ فقلبه خائف وفرائصه[(٥)] تُرعَدُ، وجبينُهُ يَرشَحُ، لا يدري أيرجِعُ بُنجح الطلب أم بسوء المنقلب، قد امْتقعَ[(٦)]

---

(١) احتُضِرَ: حضره الموت فهو محتضر.

(٢) مت: مضارعها يمات ومت يموت.

(٣) منبهة: مُعْلٍ لقدره.

(٤) آخر: أدنى وأرذل، لا آخر بالمد كما ظنها من روى هذا القول في هذا العصر.

(٥) الفريصة: لحمة بين الثدي والكتف، ترعد عند الفزع، وترعد: تضطرب.

(٦) امتقع الرجل: تغير لونه. ولأبي تمام في هذا المعنى:

ذُل السؤال شجا في الحلق معترض ** ** مـــن دونه شرق من تحته جـــرض

ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت ** ** مــن مـــاء وجهي إذ أفنيته عوض

لونُهُ، وذهب دَمُ وجهه، اللّهُم فإن كانت الدنيا لها عندي حظّ فلا تجعل لي حظًّا في الآخرة.



قال إبراهيم بن السندي: قلتُ لِرَجلٍ من أهل الكوفة من وجوهِ أهلها كان لا يَجف لِبْدُهُ[١]. ولا يستريحُ قلبُه ولا تسكنُ حركَتهُ في طلب حوائجِ الرجال وإدخالِ المرافق[٢] على الضُّعفاءِ. فقلتُ له: أخبرني عن الحالة التي خَفَّفَتْ عليك النصَب[٣] وهوَّنَتْ عليك التعب في القيام بحوائج الناس ما هي. فقال: قد واللهِ سمعت خَفْقَ[٤] أوتار العيدانِ، وترجيع[٥] أصوات القيان[٦] فما طَرِبتُ من صوتٍ قطُّ طربي من ثناءٍ حَسَنٍ بلسان حسَنٍ على رجُلٍ قد أحسن، ومن شُكرِ حُرٍّ لمنعمٍ حرٍّ، ومِن شفاعة محتسب[٧] لطالبٍ شاكر.

قال إبراهيم: فقلت له: لله أبوك لقد حُشِيتَ كَرمًا.

---

(١) لا يجف لبده: لا يزال يتردد ويسعى «كناية»، واللبد في اللغة: كل شعر أو صوف متلبد.

(٢) المرافق: المنافع.

(٣) النصب: التعب.

(٤) خفق: تصويت.

(٥) ترجيع: ترديد.

(٦) القيان: المغنيات.

(٧) احتسب عند الله خيرًا قدمه، واعتده فيما يدخر.

٥٨

قيل للمهلّب: إن فلانًا عينٌ[١] للخوارج في عسكرك، وإنه يتكَفَّنُ[٢] بالسلاح إذا دُعُوا للحرب ليغتالك[٣] ويلحق بالخوارج. فبعث إليه، فأتي به، فقال له: قد تقرَّرَ[٤] عندنا كيدُك[٥] لنا، ولم نُقْدِمْ من أمرك على ما عزمنا عليه إلا من بعد ما لم يدع اليقينُ للشك معترضًا، فاختر أيّ قِتلةٍ تحب أن أقتلك. فقال: سيفٌ مُجْهِزٌ[٦] أو عَطَفة كريم محتقر لضغن[٧] ذوي الضغائن. قال: فإنَّها عطفة كريم محتقر للذنوب. فخَلَّى سبيلَه. فكان بعد ذلك من أوثقِ أصحابه عنده.



ثارَ على عبدالرحمن الأندلسي ثائرٌ، فغزاه فظفر به، فبينما هو منصرف، وقد حمَلَ الثائرَ على بغل مكبولًا[٨] نظر إليه عبدالرحمن، وتحته فرس، فقنَّع[٩] رأسه

---

(١) عين: جاسوس.

(٢) يتكفن: يتستر.

(٣) يغتالك: يهلكاك ويقتلك على غرة.

(٤) تقرر: ثبت.

(٥) كاده: أراده بسوء.

(٦) أجهز على الجريح: أتم قتله.

(٧) ضغن: حقد.

(٨) كبله: قيده.

(٩) قنع: ستر.

بالعباءة، وقال: يا بغلُ ماذا تحملُ من الشقاقِ[1] والنفاق. قال الثائر: يا فرس ماذا تحمل من العفو والرحمة؟ فقال له عبدالرحمن: واللهِ لا تذوقُ موتًا على يدي أبدًا.

٦٠

اجتاز يزيد بن المهلّب في طريقه في الشام على أبياتِ عَرَب فقال لغلامه: استسقِنا من هؤلاء لبنًا، فأتاه بلبن فشربه، فقالَ: أعطهم ألف درهمٍ، فقال الغلامُ: إن هؤلاءِ لا يعرفونك، فقال: لكني أعرف نفسي[2].

٦١

قال الوليدُ للحَجَّاجِ في وفْدَةٍ[3] وفَدَها عليه -مختبرًا إياه-: هل لك في الشراب؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين ليس بحرام ما أحْلَلْتَهُ، ولكنِّي أمنعُ أهل عملي منه، وأكرَهُ أن أخالفَ قولَ العبدِ الصالحِ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ

---

(١) الشقاق: المخالفة.

(٢) روى هذه القصة ابن خلكان في «وفيات الأعيان»، ووجدت في كتاب «أنباء نجباء الأبناء» ما يحاكيها: «نزل يزيد في مسيره بامرأة من العرب، فقرته عنزا، فلما أصبح قال لغلامه: كم معك من المال؟ قال: ثمانمائة دينار، قال: ادفعها إلى العجوز، قال: يا سيدي إنك محتاج إلى الرجال، ولا رجال إلا بالمال، وهذه العجوز يرضيها اليسير، وهي لا تعرفك، قال: إن كان يرضيها اليسير فأنا لا يرضيني إلا الكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي، ادفع إليها المال، ففعل».

(٣) وفد: قدم.

أُخَالِفَكُمْ [١] إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ ﴾[٢].



سُئل النبيُّ ﷺ: ما الحزمُ فقال: «أن تستشيرَ ذا الرأي وتُطِعَ أمرَه»[٣].



قال معاوية لأبي حوثرةَ: اكفِنِي أمرَ ابنك (وكان قد خرج على معاوية) فصار إليه أبوه، فدعاه إلى الرجوع فأبى، فأداره[٤]، فصمَّمَ[٥]، فقال له: يا بُنَيَّ أجيئُك بابنك فلعلَّك تراه فتحن إليه؛ فقال: يا أبتِ أنا إلى طعنةٍ نافذةٍ أتقلب فيها على كعوبِ[٦] الرُّمح أشوقُ مني إلى ابني، فرَجَعَ إلى مُعاويةَ فأخبِره، فقال: يا أبا حوثرةَ عتا[٧] هذا جِدًا.



قال الأحنف: ثلاث ما أقولُهن إلا لِيَعتبِرَ مُعْتبرٌ: ما دخلت بين اثنين حتى

---

(١) خالفه إلى كذا: قصده وهو مول عنه.

(٢) سورة هود، الآية (٨٨).

(٣) روى هذا القول أبو علي في «أماليه»، ولم أنقله من كتب الحديث. [وهو حديث موضوع، «الشايع»].

(٤) أداره: طلب منه ترك ما هو عليه، وسعى في صرفه عنه.

(٥) صمَّمَ: أقام على رأيه ومضى.

(٦) كعوب الرمح: عقد قناة الرمح.

(٧) عتا: جاوز الحد.

يدخلاني بينهما، ولا أتيتُ باب أحد من هؤلاء – يعني السلطانَ –، ولا حَللْت حُبوتي[١] إلى ما يقومُ إليه الناس.



كان الأحنف يقول: لا تزالُ العرب عربًا ما لبست العمائم[٢]، وتقلدت السيوفَ[٣]، ولم تَعْدُدِ الحلمَ ذلًّا[٤]، ولا التواهبَ فيما بينها ضَعَةً[٥].



كان الحسن البَصري يقول: حادثوا[٦] هذه القلوبَ فإنَّها سريعةُ الدُّثور[٧]، واقدَعُوا[٨] هذه الأنفسَ فإنَّها طُلَعةٌ[٩]، وإنكم إلَّا تقدعوها تنزعْ[١٠] بكم إلى شرِّ غاية.

---

(١) الاحتباء: أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه إذا جلس ليصير كالمستند.

(٢) لبست العمائم: حافظت على زيها.

(٣) تقلدت السيوف: امتنعت من الضيم.

(٤) لم تعدد الحلم ذلًا: عرفت موضع الحلم.

(٥) لم تر التواهب ضعة: أن يهب الرجل من حقه ما لا يستكره عليه.

(٦) حادثوا: اجلوا واشحذوا.

(٧) الدثور: الدروس والانمحاء.

(٨) قدعه: كفه وزجره.

(٩) طلعة: تكثر التطلع إلى الشر.

(١٠) تنزع: تجري.



قال علي: مَن يَقبِضْ يَده عن عشيرتِه فإنما تُقبض منه عنهم يدٌ واحدة، وتُقبضُ منهم عنه أيدٍ كثيرةٌ(١).



أسرَّ معاويةُ إلى عثمانَ بن عنبسةَ حديثًا، قال عثمانُ: فجئتُ إلى أبي، فقلت: إن أميرَ المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثًا أفأحدِّثُكَ به؟ قال: لاَ إنَّهُ مَن كتم حديثه كان الخيارُ(٢)، إليه، ومن أظهره كان الخيار عليه؛ فلا تجعل نفسك مملوكًا بعد إن كنتَ مالكًا، فقلت له: أوَ يَدخلُ هذا بين الرجلِ وأبيه، قال: لا ولكني أكره أن تذلِّلَ(٣) لسانكَ بإفشاء السر، قال: فرَجَعْتُ إلى معاويةَ فذكرتُ ذلك له، فقال معاويةُ: أعْتقكَ(٤) أخي من رقِّ(٥) الخَطَأ.

---

(١) قال الرضي: ما أحسن هذا المعنى الذي أراده بهذا القول، فإن الممسك خيره عن عشيرته إنما يمسك نفع يد واحدة، فإذا احتاج إلى نصرهم واضطر إلى مرافدتهم قعدوا عن نصره وتثاقلوا عن صوته، فمنع ترافد الأيدي الكثيرة، وتناهض الأقدام الجمة.

(٢) الخيار: الاسم من الاختيار.

(٣) تذلل: تعوّد.

(٤) أعتقك: خلصك.

(٥) الرق: اسم من الاسترقاق للعبودية، ومما يؤثر من بارع الحكايات في الأسرار ما رواه صاحب كتاب «الآداب السلطانية»، قال: قال صاحب الموصل بدر الدين لمجد الدين بن الأثير الجزري: أريد أن ترشدني في هذه الساعة إلى رجل ثقة أمين يكون موضعًا للسر=

٦٩

قال ابنُ المُقَفَّعِ: إنَّ العربَ حكمت على غير مِثال مُثِّلَ(١) لهَا ولا آثار أثِرت(٢)، أصحابُ إبل وغنم، وسكان شَعر وأدَم(٣)، يجود أحدُهم بقوته، ويتفضل(٤) بمجهوده، ويُشاركُ في ميسوره(٥) ومعسوره، ويصفُ الشيءَ بعقله فيكونُ قدوةً، ويفعله فيصيرُ حجةً، ويحَسِّنُ ما شاءَ فيحسنُ، ويقبِّحُ ما شاء فيقبح، أدَّبَتْهُم أنفسُهم، ورفعتهم هِمَمُهَمْ، وأعلتْهم قلوبُهم وألسنتُهم، فمن وضَع حقَّهم خسر، ومن أنكر فضلَهم خُصِم(٦).

= حتى أحمله مشافهةً رسالة إلى الخليفة ويتوجه في هذه الساعة، ففكر ابن الأثير ساعة، ثم قال: يا مولاي ما أعرف أحدًا بهذه الصفة إلا أخي، قال: فقم وعرفه، ذلك فذهب وحكى لأخيه ما جرى عند السلطان، وقال له: يا أخي والله ما شهدت ذلك إلا بما أعرفه منك، فتوجه إلى خدمة السلطان، وامتثل ما يشير به، فحضر ابن الأثير عند السلطان وشافهه بالمراسلة وقال له: توجه في هذه الساعة. فحضر ابن الأثير إلى داره ليودع أخاه، فوجده قائمًا في الدهليز ينتظره، فقال له: شافهك السلطان بالحديث؟ قال: نعم، قال: فما هو؟ قال: يا أخي الساعة شهدت لي عنده بالأمانة وحفظ السر، أفيجوز أن أكذبك في الحال؟ قال لي شيئًا ما أقوله إلا لمن أمرني بأن أقوله له. قال: فبكى مجد الدين، ودعا له.

(١) مُثِّلَ: صور.

(٢) أثرت: نقلت.

(٣) الأدم: جمع أديم الجلد.

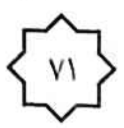
(٤) تفضل: تطوّل، وادعى الفضل، ومقصوده يجود.

(٥) ميسوره ومعسوره: يسره وعسره.

(٦) خصم: غلب.



قال لسان الدين بن الخطيب: العربُ لم تفتخر قَطُّ بذَهب يُجمع، ولا ذُخرٍ[١] يُرفَعُ، ولا قَصْرٍ يُبنى، ولا غَرْسٍ يُجنى[٢]، إنما فخرُها عدوٌ يُغلب، وثناءٌ يجلب، وجُزُر[٣] تنحر، وحديث يُذكر، وجودٌ على الفاقة[٤]، وسَماحةٌ بحسب الطاقة، فلقد ذهب الذهب، وفَنِيَ النَّشَب[٥]، وتمزَّقت الأثواب، وهلكت الخيل العِراب[٦]، وكل الذي فوقَ التراب تراب، وبقيت المحاسنُ تُروى وتُنقل، والأعراضُ[٧] تجلى وتصقل.



قال عبدالعزيز بن مروان: إذا أمكنني الرجلُ من نفسه حتى أضعَ معروفي عنده فيدُه[٨] عندي أعظمُ من يدي عنده.



كتب الحسنُ بن سهل لرجل كتابَ شَفاعةٍ، فجعل الرجلُ يشكره؛ فقال

---

(١) الذخر: الشيء النفيس وما يخبأ لوقت الحاجة.

(٢) يجنى: يقطف ثمره.

(٣) الجزر: الإبل.

(٤) الفاقة: الفقر.

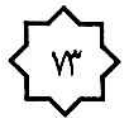
(٥) النشب: المال.

(٦) العراب: الكريمة.

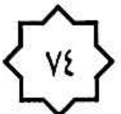
(٧) موضع المدح والذم من الرجل.

(٨) اليد: النعمة.

الحسن: يا هذا علامَ تشكرنا؟ إنا نَرَى الشفاعة زكاةَ مروءاتنا.



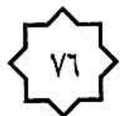
قال المهلّب لبنيه: إياكم أن تجلسوا في الأسواق إلا عند زرَّادٍ[1] أو وَرَّاقٍ - أراد الزَّراد للحرب، والورَّاق للعلم-.



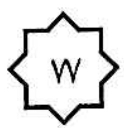
قيل لِعَدِيٍّ بن حاتم: مالك لا تشرب النبيذَ؟ قال: معاذَ الله أُصبحُ حكيمَ قومي وأُمسي سفيهَهُمْ.



جاء في الحديث: لا تَنظُرُوا إلى صومه ولا إلى صلاته، ولكن انظروا إلى ورعه إذا أشفى. ومعناه إذا أشرف على الدينار والدرهم[2].



قال النبي: «مَنْ غَشَّنَا فليس منَّا»[3].



قال عمر: لا تزالون أصحاء ما نزعتم ونزوتم[4]، «فنزعتم في القسي، ونزوتم على ظهور الخيل».

---

(١) الزراد: صانع الزرد وهي الدروع المزرودة.

(٢) روى هذا القول صاحب «الكامل». [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العلم (٢١٤) عن عمر موقوفًا].

(٣) راويه الثعالبي [رواه مسلم (١٠٢)].

(٤) نزع: رمى، نزا: وثب.



قال علي: إذا كان في رجل خَلَّةٌ[١] فانتظروا أخواتِها.



قال المهلّب: ما يسرني أنَّ في عسكري ألفَ شجاع بدل بَيْهس بن صهيب؛ فيقال له: أيها الأمير بَيهسٌ ليس بشجاعٍ، فيقولُ: أجلْ، ولكنّه سديدُ الرأي، محكَمُ العقل، وذو الرأي حذِرٌ سؤُولٌ.



خطبَ الناسَ عبدُ الرحمن بنُ الأشعثِ عند ظهور أمر الحجاج فقال: أيُّها الناسُ إنه لم يبقَ من عدوكم إلا كما يبقى من ذنب الوَزَغَةِ[٢] تَضرِبُ به يمينًا وشمالًا، فلا تلبث أن تموتَ، فسمعه رجلٌ من بني قشير فقال: قَبَّحَ الله هذا، يأمر أصاحبه بقلّةِ الاحتراسِ من عدوٍّ، ويَعِدُهُمُ الغرورَ[٣].

٨١

قال هشام بنُ عُقبةَ: إنَّ لكلِّ رفقة كلبًا يَشْرَكُهُمْ في فَضْلةِ الزَّادِ، ويَهِرُّ[٤] دُونَهُمْ، فإن قدِرتَ ألا تكون كلبَ الرّفقةِ فافعلْ.

---

(١) الخلة: الخصلة.

(٢) الوزغة: سام أبرص ضرب من الحيوان.

(٣) الغرور: الأباطيل.

(٤) يهر: يصوت.



قال عمرو بن العاصي: موتُ ألف من العِلْيَةِ خيرٌ من ارتفَاعِ واحد من السِّفْلَةِ.



قالَ سفيان الثوري: المالُ سلاحُ المؤمنِ في هذا الزمان.



قال بعضهم: من أعطى في الفضول قَصَّرَ عن الحقوق[١].



قيل لعبدالله بن جعفر: إنك لَتبذلُ الكثيرَ إذا سُئِلتَ، وتَضيِّقُ في القليل إذا تُوجرتَ، فقال: أني أبذل مالي، وأضَنُّ[٢] بعقلي.



قال ابن عبدِ ربِّه: هل يجوز في وَهْمٍ، أو يُتمثلُ[٣] في عقل، أو يَصِحُّ في

---

(١) رويت هذه القول ليدري النشء العربي كيف يجود في «عصر الاقتصاد»، ولكي يعرف مواطن الكرم وطرق الصنيعة، وهي كما قالوا:

إن الصنيعة لا تكون صنيعة ❊ ❊ حتى تصيب بها طريق المصنع

فلا يملق والناس مثرون، ولا يرتمض لأحواجه وإسافته والأعاجم مغتبطون، وبمالهم الدثر مستعزون، «ومن أعزه هذا الفلزّ، فهو العزيز المستعز»، «وإنما الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت».

(٢) أضن: أبخل.

(٣) يتمثل: يتصور.

قِياس، إن يُحصدَ زَرع بغير بَذْر، أو تُجنى ثمرةٌ بغير غَرْسٍ؟ أو يُورِي[١] زَنْدٌ بغير قَدْحٍ، أو يُثَمَّر[٢] مالٌ بغير طلب؟



قيل لمحمد بن عمران: ما المرءوةُ؟ قال: ألَّا تعملَ في السرِّ شيئًا تستحي منه في العلانيَة.

٨٨

قال الأحنف: ما شاتمتُ رجلًا مُذْ كنتُ رجلًا، ولا زَحَمَتْ ركبتاي ركبتيه، وإذا لم أصل مجتَدِيَّ[٣] حتّى ينتحُ جبينهُ عَرَقا كما ينتحُ[٤] الحميتُ[٥]، فوالله ما وَصَلْتُه.

٨٩

قال الأحنف: ألَا أدُلُّكُمْ على المَحمِدةِ[٦] بلا مرزِئَةٍ[٧]؛ الخلقُ السجيحُ[٨]، والكفُّ عن القبيح، ألَا أخبرُكمْ بأدْوَإِ الدَّاءِ؟ الخُلُقُ الدَنيُ، واللسانُ البذي.

---

(١) يوري: يخرج نارًا.

(٢) يثمر: يكثر.

(٣) المجتدي: طالب المعروف.

(٤) ينتح: يرشح.

(٥) الحميت: الزق.

(٦) المحمدة: الحمد.

(٧) المرزئة: النقص والخسارة.

(٨) السجيح: اللين السهل.

٩٠

امتدح نُصيبٌ عبدَالله بن جعفرٍ، فأمر له بخيل وإبلٍ وأثاثٍ ودَنانيرَ ودراهِمَ؛ فقال له رجل: أمِثْلُ هذا الأسودِ يُعطى مثلَ هذا المال؟ فقال له عبدالله بن جعفر: إن كان أسودَ فإن شعرَه لأبيضُ، وإن ثناءَه لعربيٌّ، ولقد استحق بها قالَ أكثر مما نالَ، وهل أعطيناه إلَّا ثِيابًا تَبْلَى، ومالًا يفنى، ومطايا[1] تُنضى[2]، وأعطانا مدحًا يُرْوَى، وثناءً يبقى.



قال عمرُ بن عبدالعزيز: إذا دخل عليك مَنْ لا ترى لك عليه فَضلًا فلا تأخذ عليه شرفَ المجلس.



وشى واشٍ بعبدالله بن همّام السَّلوليّ إلى زياد؛ فقال له: إنه هجاك، فقال: أأجمع بينك وبينه؟ قال: نعم، فبعث زيادٌ إلى ابن همّام، فأتي به، وأُدخِلَ الرجلُ بيتًا؛ فقال زياد: يا بنَ[3] همام بلغني أنك هجوتني؟ فقال: كلا أصلحك اللهُ ما فعلتُ، ولا أنت لذلك بأهل، فقال: إن هذا الرجلَ أخبرني، وأخرج الرجلَ، فأطرق[4]

---

(١) المطايا: جمع مطية الدابة.

(٢) تنضى: تهزل.

(٣) بحذف ألف ابن بعد ياء النداء.

(٤) أطرق: سكت.

ابن همام هنيهةً[١] ثم أقبل على الرجل، فقال:

أنت[٢] امْرُؤ إمَّا ائتمنتك خاليا فخنتَ وإما قلتَ قولًا بلا عِلمِ

فأنت[٣] من الأمر الذي كان بيننا بمنزلةٍ بين الخيانةِ والإثم

فأعجب زياد بجوابه، وأقصى الرجل، ولم يقبل منه.



وصف عمرُو بنُ العاصي عبدَالملك بن مروانَ عند معاويةَ؛ فقال: آخذ بثلاثٍ، تارك لثلاثٍ؛ آخذٌ بقلوب الرجال إذا حدّث، وبِحُسْنِ الاستماع إذا حُدِّثَ، وبأيسر الأمرين عليه إذا خولف، تارك للمراء[٤]، تارك لِمُقَارَبةِ اللئيم، تارك لِمَا يُعتذَرُ مِنْهُ.



قال عمر: كفى بالمرء غيًّا أن تكون فيه خَلَّةٌ من ثلاث: أن يَعيبَ شيئًا ثُمَّ يأتيَ مثلَهُ، أو يبدوَ له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه، أو يُؤذيَ جليسَه فيما لا يَعْنيهِ.



قال معاوية لعرابةَ بن أوس: بِمَ سُدت قومك؟ فقال: لستُ بسيِّدهم، ولكني

---

(١) هنيهة: مدة قليلة من الزمن.

(٢) في البيت خرم، وهو كثير عندهم على قبحه.

(٣) «فأنت من الأمر»، هذه رواية التبريزي شارح الحماسة، ورواية أبي علي القالي في «أماليه» أبت مكان أنت، ومعناها رجعت.

(٤) ماراه: جادله ونازعه.

رجل منهم، فعزم عليه[١]، فقال: أعطيتُ في نائبتِهم، وحلمْت عن سفيهم، وشددْتُ[٢] على يدي حليمهم، فمن فعلَ منهم مثل فعلي فهو مثلي، ومن قصَّرَ، عنه فأنا أفضل منه، ومن تجاوزه فهو أفضل مني.

وفي عرابة يقول الشاعر:

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ   تلقَّاها عرابةُ باليَمينِ

٩٦

قال رجل لابنه: إيَّاكَ والكسلَ والضجرَ، فإنك إذا كَسِلْتَ لم تَؤَدِّ حقًّا، وإذا ضَجِرْتَ لم تَصبِرْ على حقٍّ.



قال ابن المقفع: على العاقل ألا يُخادِنَ[٣] ولا يُصاحبَ ولا يُجاورَ من الناس ما استطاع إلَّا ذا فضْلٍ في العلم والأخلاقِ، فيأخذَ عنه، أو مُوَافقًا له على صلاح ذلك فيؤيدَ ما عنده، وليس لذي الفضل قريبٌ ولا حميمٌ[٤] هو أقربُ مِمَّنْ وافقه على صالح الخِصالِ فزاده وثبَّتَه[٥].

---

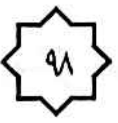
(١) عزم عليه: أقسم عليه.

(٢) ساعدته.

(٣) يخادن: يصادق.

(٤) الحميم: القريب والصديق.

(٥) من كلام العرب ووصاياهم: جالس أهل العلم فإن جهلت علموك، وإن زللت قوّموك، وإن أخطأت لم يفندوك، وإن صحبت زانوك، وإن غبت تفقدوك، ولا تجالس أهل الجهل، فإنك إن جهلت عنفوك، وإن زللت لم يقوموك، وإن أخطأت لم يثبتوك.



قال علي: الناسُ أعداء ما جهلوا(١).



قيل للمهلب: ما خيرُ المجالسِ؟ فقال: ما بَعُدَ فيه مَدَى الطرف، وكَثَرَتْ فيه فائدةُ الجليس.



قال بعض العرب: لا يكونَنَّ منكم المحدِّثُ لا يُنصَتُ له، ولا الداخلُ في سر اثنين لم يُدخلاه، ولا الآتي الدعوَةَ لم يُدْعَ إليها، ولا الجالس في مجلس لا يستحقه، ولا الطالب الفضلِ من أيدي اللئام، ولا المتعرّضُ للخيرِ من عند عدوِّه، ولا المفرط في الدَّالَّةِ(٢).



قال ابن هبيرة وهو يؤدِّب بعض بنيه: لا تكنْ أوّل مشير، وإياك والرأيَ

---

(١) قال ابن أبي الحديد عند ذكر هذه الكلمة: قيل لأفلاطون: لم يبغض الجاهل العالم ولا يبغض العالم الجاهل؟ فقال: لأن الجاهل يستشعر النقص في نفسه، ويظن أن العالم يحتقره؛ فيبغضه، والعالم لا نقص عنده، ولا يظن أن الجاهل يحتقره؛ فليس عنده سبب لبغض الجاهل.

والعلة في أن الإنسان عدو ما يجهله أنه يخاف من تقريعه بالنقص وبعدم العلم بذلك الشيء خصوصًا إذا ضمه ناد وجمع من الناس فإنه تتصاغر نفسه عنده إذا خاضوا فيما لا يعرفه، وينقص في أعين الحاضرين، وكل شيء آذاك ونال منك؛ فهو عدوك.

(٢) له عليه دالة: أي جرأة بسبب منزلته عنده.

الفطير، وتجَنَّبْ ارتجالَ الكلام، ولا تشِرْ على مُستَبِدٍّ ولا على وغْدٍ[١]، ولا على مُتلوِّنٍ[٢] ولا على لجُوج، وَخفِ الله في موافقة هوى المُستَشيرِ؛ فإن التماسَ موافقتِهِ لؤم، وسوءَ الاستماع منه خِيانَة.

١٠٢

قال معاويةُ للأحنف: يا أبا بحر ما تقولُ في الولد؟ فقال: يا أمير المؤمنين هم عمادُ ظهورنا، وثمرُ قلوبنا، وقرّة أعْيننا، بهم نَصولُ[٣] على أعدائنا، وهم الخَلَفُ منا لمن بعدنا، فكن لهم أرضًا ذليلة، وسماءً ظليلة، إن سألوك فأعطهم، وإن استعتبوك فأعتِبْهُمْ[٤]، لا تمنعهم رِفْدَكَ[٥]، فَيَمَلُّوا قُرْبَكَ، ويكرهوا حياتَكَ، ويَستَبْطِئُوا وفَاتَك؛ فقال: لله دَرُّكَ يا أبا بحر، هم كما وصفت.

١٠٣

قال علي: طَرَقنا طارق بِمَلفُوفَةٍ في وعائها، ومعجونَة شَنِئتُها[٦]، كأنَّما عُجِنَتْ بريق حَيّةٍ أو قيئها؛ فقلتُ: أصلةٌ[٧] أم زكاةٌ[٨] أم

(١) الوغد: اللئيم.

(٢) المتلون المختلف الأخلاق.

(٣) صال عليه: سطا وقهره حتى ذل.

(٤) استعتبه فأعتبه، استرضاه فأرضاه.

(٥) الرفد: العطاء.

(٦) قوله: بملفوفة في وعائها؛ لأن الهدية كانت في طبق مغطى، ومعنى شنئتها: أبغضتها.

(٧) الصلة: العطية.

(٨) الزكاة: هي ما يجب في النصاب من المال.

صدَقةٌ[١]؟ فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنّها هدية، فقلت: هَبلَتْكَ الهَبُولَ[٢]، أعن دين الله أتيتَني لِتَخْدَعَني؟ أمختَبِطٌ[٣]؟ أم ذو جِنَّةٍ[٤]؟ أم تَهْجُرُ[٥]، والله لو أُعطِيتُ الأقاليمَ السبعةَ بما تحت أفلاكها على أنْ أعصيَ اللهَ في نَمْلةٍ أسلبُهَا جُلْبَ[٦] شعيرةٍ ما فعلتُ، وإن دنياكم عندي لأهونُ من وَرَقَةٍ في فَم جَرَادةٍ تَقْضِمُهَا.

١٠٤

قال علي: الوفاءُ توأمُ الصدق، ولا أعلم جُنَّةً[٧] أوقى منه، ولا يغدِرُ من علم كيف المرجِع، ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كَيْسًا[٨]، ونسبَهُم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، مالهُم قاتَلَهُمُ اللهُ قد يَرى الحُوَّلُ القُلَّبُ[٩] وجهَ الحيلةِ، ودونه مانِعٌ من أمر الله ونهيِهِ، فيدَعُهَا رأي عين بعد القُدرةِ عليها، ويَنهِزُ فرَصتَها مَن لا حريجة[١٠] له في الدين.

---

(١) الصدقة: هنا صدقة التطوع.

(٢) هبلتك: ثكلتك، فقدتك. الهبول: التي لها عادة بثكل الولد.

(٣) المختبط: المصروع من غلبة الأخلاط السوداوية أو غيرها عليه.

(٤) ذو الجنة: من به مس من الشيطان «وقد أثبت العلم الصحيح في أمر هذه الأمراض ما أثبته».

(٥) تهجر: تهذي.

(٦) جلب الشعيرة: قشرها.

(٧) الجنة: كل ما وقى من سلاح.

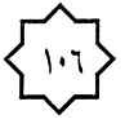
(٨) الكيس: الفطنة والذكاء.

(٩) الحول القلب: الذي قد تحول وتقلب في الأمور.

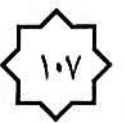
(١٠) الحريجة: التقوى والتحرز من الإثم.

١٠٥

قَرَأ السَّرِيُّ بنُ المغلس على مؤدبه: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا[١]﴾ [مريم: ٨٦]؛ فقال: يا أستاذُ! ما الوِرْدُ؟ فقال: لا أدري؛ فقرأ: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا[٢]﴾ [مريم: ٨٧]؛ فقال: يا أستاذُ ما العهدُ؟ فقال: لا أدري، فقطع السَّرِيُّ القراءةَ وقال: إذا كنتَ لا تدري فلم غرَّرْتَ[٣] بالناسِ؛ فضربه المؤدبُ، فقال السَّرِي: يا أستاذ! ألم يكفك الجهلُ والغُرورُ حتى أضفتَ إليهما الظُّلْمَ والأذى؛ فاستَحلَّهُ[٤] المُؤَدِّبُ، وتاب إلى الله تعالى من التأدب، وأقبل على طلب العلم، وكان يقول: إنَّما أعتقني من رِقِّ الجَهْلِ السَّرِيُّ.



قال علي: لا تصحب المائق[٥]، فإنَّه يزيّن لك فعله، ويوَد أن تكون مثلَه.



قال خالد بن صفوان: إنَّما اللسان عضوٌ، إذا مَرَّنْتَهُ مَرَن، وإذا أهملته

---

(١) الورد: العطاش.

(٢) العهد: الموثق والذمة.

(٣) غرر به: عرضه للهلكة.

(٤) استحله: سأله أن يحل له ضربه إياه.

(٥) المائق: الأحمق.

خارَ[١]، كاليَدِ التي تُخَشِّنُهَا بالممارسةِ، والبدن الذي تقويهِ برفع الحجر، وما أشبَهَهُ، والرِّجلُ إذا عوَّدَت المشيَ مَشَتْ.



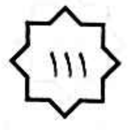
قال عامر بن عبد القيس: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوِز الآذان.



قيل للمهلّب: بِمَ أدركتَ ما أدركت؟ قال: بالعلم. قيل له: فإن غيرَكَ قد علمَ أكثرَ مِمَّا علمت ولم يُدركْ ما أدْركت؟ قال: ذاكَ علم حُمِل، وهذا علمٌ استُعْمِلَ.



سمع خالدُ بن صَفوانٍ رجلًا يتكلم ويكثُر؛ فقال: اعلم -رحِمَكَ الله- أن البلاغةَ ليست بِخفَّة اللسانِ، وكَثْرَةِ الهذيان، ولكنها بإصابة المعنى، والقصد إلى الحجة.



سمع يونس رجلًا ينشد:

إِستودَعَ العلمَ قرطاسًا فضيَّعَهُ وبئسَ مُستَوْدَعُ العلم القراطيسُ

فقال: ما أشدَّ صبابةَ[٢] هذا القائلِ بالعلم وصيانته للحفظ، إن عِلمَكَ من روحِك ومالَك من بدنِك؛ فصُن علمَك صيانتك روحَك، ومالَك صيانتَك بدنك.

---

(١) خار: ضعف.

(٢) صبابته بالعلم: كلفه به وميله إليه.

١١٢

قال بعضهم: الأديبُ لا يُجالِسُ من لا يجَانِسُ.

١١٣

قال بعضهم: نور الحقيقةِ أحسنُ من نَور الحديقةِ[١].



١١٤

قيل لبعضهم: فيمَ لذَّتُك؟

قال: في حجَّةٍ تَتَبَخْتَرُ اتِّضاحًا، وشُبْهَةٍ تَتَضاءَلُ[٢] افْتضاحًا.

١١٥

قال بعضهم: القلوب تحتاجُ إلى أقواتِها من الحِكمة كاحتياج الأبدانِ إلى أقواتِها مِن الغذاءِ.

١١٦

قال علي: قيمةُ كلِّ امرِئ ما يُحسِنُه[٣].

١١٧

كتب عمرُ إلى ساكني الأمصار: أما بعدُ، فعلِّموا أولادَكم العوْمَ والفُرُوسيَّةَ،

---

(١) النور: الزهر الأبيض. الحديقة: البستان.

(٢) تتضاءل: تتصاغر.

(٣) قال الرضي: «هذه الكلمة التي لا تصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تقرن إليها كلمة». قلت: وقد رأيت هذه الكلمة منسوبة في بعض الكتب إلى حضرة صاحب الشريعة العربية، ولا يقذف بمثل هذا الدر إلا ذلك البحر على أن فضل علي لا ينكر، وبلاغته لا تجحد، وإنه العربي كل العربي. [ولا تصح هذه المقولة عن النبي ﷺ].

ورَوُّوهُمْ ما سارَ من المثلِ، وحَسُنَ مِنَ الشعرِ.



كان الفرزْدق يخرج من منزله؛ فيرى بني تيمٍ والمصاحفُ في حُجورِهم فيُسَرُّ بذلك ويجذلُ به[١]، ويقول: أيهِ[٢] فِدى لكم أبي وأُمي كذا والله كان آباؤكم.



قال بعضهم: من نصب نسبه للناس إمامًا؛ فعليه أنْ يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلمُ نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم.



قال بعضهم: سل تَفقُّهًا[٣]، ولا تسأل تَعَنُّتًا[٤]؛ فإن الجاهلَ المتعلِمَ شبيهٌ بالعالم، وإنَّ العالمَ المتعنتَ شبيهٌ بالجاهل[٥].

---

(١) جذل به: فرح.

(٢) أيهٍ: بالتنوين اسم فعل للاستزادة من الحديث. وبلا تنوين للاستزادة من حديث معهود.

(٣) التفقه: التعلم.

(٤) تعنته: طلب زلته. وسأله على جهة التلبيس عليه.

(٥) قالوا: من حق العالم ألا تكثر عليه السؤال، ولا تعنته في الجواب، ولا تضع له غامضات المسائل، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تفشي له سرًا، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تنقلن إليه حديثًا، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه، ولا تجلس أمامه، وإذا كانت له حاجة فاسبق أصحابك إلى خدمته. «وقالوا»: لا تجعلن ذرب لسانك على من أنطقك، وبلاغة قولك على من سددك.

١٢١

قال بعضهم: إذا خَبُثَ الزمانُ كسَدَتِ الفضائل وأضرَّت، ونفقتِ الرذائلُ ونفعت، وكان خوف الموسر أشدَّ من خوف المُعسر.

١٢٢

قال علي: يأتي على الناس زمان لا يُقرّب فيه إلا الماحل[١]، ولا يُظرَّف[٢] إلا الفاجرُ، ولا يضعف[٣] إلا المنصف، يتحذون الفيء[٤] مغنمًا[٥]، والصدقة مغرمًا[٦]، وصلةَ الرحم[٧] منًّا، والعبادةَ استطالة[٨] على الناس. فعند ذلك يكون سلطان النساء، ومشاورة الإماء[٩]، وإمارة الصبيان.

---

(١) المحل: المكر والكيد، يقال: محل به إذا سعى به إلى السلطان، فهو ماحل.

(٢) لا يعد الناس الإنسان ظريفًا إلا إذا كان خليعًا ماجنًا متظاهرًا بالفسق. والظريف في اللغة الكيس العاقل.

(٣) أي إذا رأى الناس إنسانًا عنده ورع وإنصاف في معاملته الناس عدوه ضعيفًا، ونسبوه إلى الركة والرخاوة، وليس الشهم عندهم إلا الظالم.

(٤) الفيء: الخراج.

(٥) المغنم: الغنيمة.

(٦) المغرم: أن يلتزم الإنسان أداء ما ليس عليه.

(٧) يمنون إذا وصلوا الرحم.

(٨) استطال تكبر واعتدى، أي إذا كانوا ذوي عبادة استطالوا بها على الناس، وبجحوا بها، وأعجبتهم أنفسهم.

(٩) الأمة: المملوكة.



جاء في كتاب النهج «نهج البلاغة» المنسوب إلى علي: كان أهلُ ذلك الزمانِ ذئابًا، وسلاطينُه سباعًا، وأوساطه أكَّالًا[١] وفقراؤه أمواتًا، وغار الصدقُ[٢]، وفاض الكذب[٣]، واستعملت المودَّةُ باللسان، وتشاجرت الناسُ بالقلوب، وصار الفسوقُ نسبًا، والعفاف عجبًا[٤].

١٢٤

قال الجاحظ: اعلم أن المعنى الحقيرَ الفاسدَ واللفظ الساقطَ يعشش في القلب، ثم يَبيضُ، ثُمَّ يفرخ، ثم يستفحل[٥] الفساد؛ لأن اللفظَ الهجينَ[٦] الرديء أعلق باللسان، وآلف للسمع، وأشدُّ التحامًا بالقلب من اللفظ النبيهِ الشريف[٧]، والمعنى الرفيعِ الكريم.

ولو جالستَ الجهال والحمقى والسفهاءَ شهرًا فقط لكَسَبْتَ من أوضار كلامهم[٨]،

---

(١) أكالًا: طعامًا. يقول: صار أوساط الناس طعمة للولاة وكالفريسة للأسد.

(٢) غار: أي ذهب.

(٣) فاض: مقصوده كثر.

(٤) صار الفسوق نسبًا: يصير الفاسق صديقًا حتى يكون ذلك كالنسب بينهم، وحتى يعجب الناس من العفاف لقلته وعدمه.

(٥) استفحل: اشتد وقوي.

(٦) الهجين: غير الكريم.

(٧) الشريف: المشهور.

(٨) الأوضار: جمع وضر، وهو الخبيث. وأصل الوضر وسخ الدسم واللبن.

وخبال معانيهم[١] ما لم تكسبه من مُجَالَسَةِ أهل البيان دهرًا، لأن الفسادَ أسرعُ إلى الناسِ وأشدُّ التحامًا بالطبائع، والإنسانُ بالتعلّم والتكلف[٢] وبطول الاختلاف[٣] إلى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجودُ لفظه، ويحسن أدبهُ، وهو لا يحتاج في الجهل إلى أكثرَ من تَرْكِ التعلم، وفي فساد البيان إلى أكثرَ من تَرْكِ التخيُّرِ[٤].



قال جامع هذا الكتاب: العربيةُ لغةٌ أتقنها الإتقان، وأبدعها الإبداع. قد جمعت الحسن كله في نظام[٥]، وبذَّت[٦] جميعَ لغاتٍ الأنام[٧]، فالتجوّد[٨] فيها

---

(١) الخبال: الفساد.

(٢) التكلف: تحمل الأمر على مشقة وعسرة وعلى خلاف العادة.

(٣) الاختلاف إلى العلماء: التردد إليهم.

(٤) التخير: أخذ خير الشيء، قالوا: اختيار الكلام أصعب من تأليفه، وقالوا: اختيار الرجل وافد عقله. وقال الشاعر:

قد عرفناك باختيارك إذ كا ❊ ❊ ن دليلًا على الأديب اختياره

(٥) قالوا: «إن كلمات السجع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفًا عليها؛ لأن الغرض أن يجانس بين القرائن ويزاوج بينها. وما يتم ذلك إلا بالوقف، وإلا ذهبت أيادي سبأ».

(٦) بذت: فاقت.

(٧) الأنام: الخلق.

(٨) التجود: التأنق.

مخاصرها[١] حيثما سارت، والتنوق[٢] فيها معانقها أنّى دارتْ، وإذا تنافرت[٣] اللغات يوماً وتساجلت[٤]، جاءت فتاةُ «الجزيرة» سيدةً عقيلة[٥] وجئن إماء[٦]، وإذ طلعت تضاءلن[٧] قدَّامها ثُمَّ غَرَبْنَ[٨]، وغُرنَ[٩] كالشمس إذا نجمت[١٠] لم تبدُ كواكبُ السماء، وهي لغة «الكتاب» ولغة الإعراب، ولغة الإيجاز[١١] إذا ابتغيتَ الإيجازَ، ولغة الإطناب[١٢] إن تُردْ الإطنابَ، فهيهاتِ هيهات أن تُماشيَها في الفصاحة والبلاغة لغة، أو يجاريَها في البيان لسان، ولو حَدَّثَتْ لغةُ كل قوم نفسها بمُباراتِها[١٣] لَقَعَدَ[١٤] بها العجزُ،

---

(١) مخاصرها: ملازمها.

(٢) تنوق في الشيء: تجود وبالغ فيه مثل تألق.

(٣) تنافرت: تفاخرت.

(٤) تساجلت: تبارت وتسابقت.

(٥) العقيلة: الكريمة المخدرة.

(٦) الأمة: المملوكة.

(٧) تضاءلن: تصاغرن.

(٨) غربن: اختفين.

(٩) غُرن: لم يظهرن.

(١٠) نجمت: ظهرت.

(١١) الإيجاز: قلة الكلام في بلاغة وأداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف.

(١٢) أطنب في القول: بالغ فيه، والإطناب: أداء المقصود بأكثر من عبارة المتعارف.

(١٣) المباراة: المجاراة والمسابقة.

(١٤) قعد بها العجز أقعدها.

وَرَزَحَتْ[١] قبلَ أن تقطعَ من ألف مرحلةٍ[٢] مرحلتين، ومن ألف فرسخٍ[٣] فرسخين، وليس في لُغةِ العَرَب منْ عَيْبٍ يَعيبها به الحاسد أو مغمز[٤] يجد إلى الطعن فيها سبيلًا الناقد، إلَّا صدودُ طوائفَ مِنْ قومها عنها وهجرهُمْ إياها، وإلَّا غربتُها في وطنها «فهي في الأقربين غريبة»، وإنَّ ذلك إنما يَشينهم[٥] ولا يَشينُها، ويضع[٦] من مقدارهم ولا يضع من مقدارها، فهي الكريمة بنت الكرام، وهم اللؤماء، وهي ذاتُ الحسن وذاتُ الصنع الحسن، وهُمْ أهل السوءَة السوءاء، وإنَّ قبيلًا عربيًا جفا[٧] عربيَّتَهُ، واستَحْقَرَ لغتَه، لخليقٌ بأَنْ تمزّقَ فَرْوَتُه[٨]، وتُنحتَ أثْلَتُه[٩]، فالعربيُّ الذي لا يكرمِ «لغةَ محمدٍ» لا يُكرَمُ، والعربيُّ الذي يستصغر قدر «لغة القرآن» يُلعن ويُذم.

❋❋❋

---

(١) رزحت: ألقت نفسها إعياء.

(٢) المرحلة المسافة التي يقطعها المسافر في يوم.

(٣) الفرسخ: اثنا عشر ألف ذراع.

(٤) المغمز: المطعن.

(٥) شانه: عابه.

(٦) وضع منه: حط من قدره.

(٧) جفا: لم يواصل وقاطع.

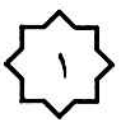
(٨) خليق: جدير، تمزيق الفروة: كناية عن الذم.

(٩) الأثل: نوع من الشجر، واحدته أثلة، ونحت أثلته: عابه، كناية.



من أشعار العرب





قال المعتمد بن عباد من ملوك الأندلس:

إن يَسْلُبِ القومُ العِدى ... ملكي وتُسلِمني الجموعْ

فالقلبُ بينَ ضُلُوعِهِ ... لم تُسلِم القلبَ الضلوعْ

قد رُمتُ يومَ نِزَالِهِمْ ... ألَّا تُحَصِّنَني الدُّرُوعْ

وبرزتُ ليس سوى القميـ ... ـصِ على الحشا شيءٌ دَفُوع

أجلي تأخّر لم يكن ... بِهَوَايَ ذلِّي والخُضوعْ

ما سِرتُ قَطُّ إلى القِتَا ... ل وكان من أمَلِي الرُّجوع

شَيمُ الأُلى أَنَا مِنْهُمُ ... والأصل تتبعه الفروعْ[1]

٢

قال موسى بن عبد الله:

تَوَلَّتْ بَهْجَةُ الدُّنْيَا ... فكلُّ جديدِها خَلَقُ[2]

وخَانَ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... فما أدري بمن أثقُ

رأيتُ معالمَ الخيرا ... تِ سُدَّتْ دُونَهَا الطُّرُقُ[3]

فلا أدبٌ ولا كَرَمٌ ... ولا فضلٌ ولا خُلُقُ

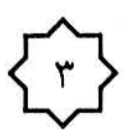
فلستُ مُصَدِّقَ الأقوا ... مِ في شَيْء وإن صَدَقُوا

---

(١) شيم: جمع شيمة الطبيعة. الألى: الذين.

(٢) الخلق: البالي.

(٣) المعلم في اللغة: ما يستدلُ به على الطريق من أثر.



قال الأبيوَردي:

مَلَكْنَا أَقَالِيمَ البِلَادِ فأذْعَنَتْ ... لنا رغبةً أَوْ رَهْبَةً عُظماؤُهَا[١]

فلمَّا انتهت أيَّامنا علِقت بنا ... شَدَائدُ أيَّامٍ قليلٍ رَخاؤُهَا

وكان إلينا في السرورِ ابتسَامُها ... فصار علينا في الهمومِ بُكاؤها

وصرنا نلاقي النائباتِ بأَوْجُهٍ ... رِقاقِ الحَوَاشِي كادَ يَقْطُر ماؤهَا[٢]

إذا ما هممنا أن نبوحَ بما جَنَتْ ... علينا الليالي لم يَدَعْنَا حَيَاؤُهَا



قال القاضي عبد الوهاب:

متى تصِلُ العطاشُ إلى ارْتِوَاءٍ ... إذا استقتِ البحارُ مِنَ الرَّكَايَا[٣]

ومَنْ يَثني الأصاغِرَ عن مُرادٍ ... وقد جلس الأكابرُ في الزَّوَايا[٤]

وإنَّ تَرَفُّعَ الوُضَعاءِ يومًا ... على الرُّفعاءِ من إحدى البلايا

إذا استوتِ الأسافل والأعالي ... فقد طابت منادمةُ المنايا[٥]

---

(١) الإقليم: قسم من الأرض. أذعنت: خضعت.

(٢) الحاشية في اللغة: جانب للثوب والكتاب وغيرهما.

(٣) الركايا: جمع ركية البئر.

(٤) يثني: يرد.

(٥) أصل: المنادمة الجلوس على الشراب. والمنايا: جميع منية الموت.

٥

قال سعد بن محمد:

مَلكنـا فكـان العفـو مِنَّـا سَـجِيَّةً ... فلـمَّا ملكـتُمْ سـالَ بالـدَّمِ أبطَـحُ[١]

وحلَّلْـتُمُ قتـلَ الأسـارى وطالَمـا ... غدونا على الأسرى نمُنُّ ونصفَحُ[٢]

فحسـبُكم هـذا التفـاوتُ بيْنَنَـا ... وكـلّ إنـاءٍ بالـذي فيـه يَنْضَـحُ[٣]

٦

قال معنُ بنُ أوس:

ورِثنـا المجـدَ عـن آبـاءِ صِـدْقٍ ... أسَـأْنا في جـوارِهِم الصَّـنيعَا[٤]

إذا المجـدُ الرفيـعُ تَعَاوَرَتْـهُ ... بنـاةُ السُّـوءِ أوشـك أن يَضـيعَا[٥]

٧

قال الشافعي:

لا تحمِلَـنَّ لِمَـنْ يَمُـنُّ ... مـن الأنـامِ عليـك مِنَّـه[٦]

واخـترْ لنفسِـكَ حظَّهـا ... واصـبر فـإنَّ الصـبرَ جُنَّـة[٧]

---

(١) السجية: الطبع. الأبطح: مسيل واسع، جمعه أباطح.

(٢) مَنَّ عليه: أعتقه.

(٣) ينضح: يرشح.

(٤) آباء صدق: كرام.

(٥) تعاورته: تداولته وتعاطته.

(٦) من عليه منا ومنة: عد له ما فعله له من الصنائع.

(٧) الجنة: كل ما وقى من سلاح.

مِـــنَنُ الرِّجـــالِ عـــلى القُلـــو ... بِ أَشَـــدُّ مـــن وَقْـــعِ الأَسِـــنَّه[(١)]

٨

قال علي بن عبد العزيز الجرجاني:

وقـالوا توصـلْ بالخضـوعِ إلى الغِنَـى ... ومـا علِمُـوا أن الخُضُـوعَ هـو الفَقْـرُ

وبينـي وبـين المـال شـيئان حَرَّمَـا ... علـيَّ الغِنـى نفسـي الأَبِيَّـةُ والـدَّهْرُ

إذا قيـل هـذا اليسـرُ أبصـرتُ دُونَـهُ ... مواقـفَ خـيرٌ مـن وقـوفي بِهـا العُسْـرُ

٩

قال أبو فِراس الحَمْداني:

وقـورٌ وأَحْـدَاثُ الزمـانِ تَنوشـني ... ولِلْمَـوتِ حَـوْلي جَيئَـةٌ وذَهـابُ[(٢)]

صـبورٌ وإن لم تبـقَ مِنِّـي بقيّـةٌ ... قَـؤول ولـو أنَّ السـيوفَ جـواب

وأَلْحَـظُ أحـوالَ الزّمـانِ بمقْلَـةٍ ... بِها الصِّدقُ صِدْقٌ والكِذابُ كِذابُ[(٣)]

١٠

قال الرضي:

اشـــترِ العِـــزَّ بـــما بِيـــعَ ... فـــما العـــزُّ بغـــالِ

لـــيسَ بـــالمغبونِ عقـــلا ... مشـــترٍ عـــزًّا بـــمالِ[(٤)]

---

(١) السنان: حديدة الرمح والسهم.

(٢) الوقور: الرزين. أحداث الزمان: نوائبه. تنوشني: تطلبني وتتناولني.

(٣) ألحظ: أنظر. المقلة: العين. الكذاب: الكذب.

(٤) غبنه: نقصه في الثمن أو غيره، فهو غابن، وذاك مغبون.

إِنَّمَا يُدَّخَرُ المَا ... لُ لحاجاتِ الرِّجالِ
والفتى من جعلَ الأمـ ... ـوالَ أثمانَ المعالي

١١

قال أبو تمام:

قد علمنا أنْ ليسَ إلَّا بشَقِّ الـ ... ـنفس صارَ الكريمُ يُدعى كريما[(١)]
طَلَبُ المجدِ يورث المَرْءَ خَبْلًا ... وهمومًا تُقَضْقِضُ الحَيزوما[(٢)]
فتراهُ وَهْوَ الخَلِيُّ شَجيًا ... وتراهُ وهو الصحيحُ سقيما[(٣)]
تَيَّمَتْهُ العُلَى فليس يَعُدُّ الـ ... ـبُؤسَ بُؤسا ولا النعيمَ نعيما[(٤)]

١٢

قال مخيّس بن أرطاة:

عرضْتُ نصيحة مِنِّي ليحيى ... فقالَ غَشَشْتَني والنُّصْحُ مُرُّ
وما بي أن أكونَ أعيبُ يحيى ... ويحيى طاهرُ الأخلاقِ بَرُّ[(٥)]
ولكن قد أتاني أنّ يحيى ... يُقالُ عليه في بقعاءَ شرُّ[(٦)]

---

(١) الشق: المشقة والعناء.

(٢) الخبل: الجنون. تقضقض: تكسر. الحيزوم: الصدر.

(٣) الخلي: الخالي من الهم. الشجي: المحزون.

(٤) تيمه الحب: عبده وذلله. وصاحبنا هذا لم يتيمه حب الغانيات وإنما تيمته العلى والمكرمات.

(٥) البر: الصادق الصالح.

(٦) بقعاء: قرية من قرى اليمامة.

فقلـــت لـــه تجنـــبْ كُـــل شيء　　يُعـــابُ عليـــك إنْ الحُـــرَّ حُـــرُّ[١]

١٣

قال يزيد المهلبي -من قصيدة يرثي بها المتوكل العباسي-:

لَّمـا اعتقـدتُمْ أناسًـا لا حلـومَ لهـم　　ضِعْتُمْ وضَيْعُتمُ من كـان يُعْتَقَـدُ[٢]

ولـو جعلـتم عـلى الأحـرار نعمـتكم　　حمـتكم السـادة المـذكورةُ الحُشُـدُ[٣]

قـومٌ هُـمُ الجـذمُ والأنسـابُ تجمَعُهُـمْ　　والمجـد والـدين والأرحـامُ والبلـد[٤]

إذا قـــريشٌ أرادوا شَـــدَّ ملكهِـــم　　بغـــيرِ قحطـــانَ لم يـــبرحْ بـــهِ أَوَدُ[٥]

١٤

قال ابن هانئ «متنبي الغرب»:

ولم أجـدِ الإنســانَ إلَّا ابــنَ ســعيه　　فمن كان أسعى كـان بالمجدِ أجْدَرَا

وبالهمّـةِ العليـاءِ ترقـى إلى العُـلَى　　فمـن كـان أعلى همـةً كـان أظهـرا[٦]

ولم يتـــأخر مـــن أراد تقـــدُّمًا　　ولم يتقـــدمْ مـــن أرادَ تـــأَخُّرًا

---

(١) إن الحر حر: أي أن الحر على الأخلاق التي عهدت في الأحرار.

(٢) اعتقدتم: قربتم ووثقتم بهم.

(٣) المذكورة: المشهورة. الحشد: جمع حاشد المستعد المعاون.

(٤) الجذم: الأصل.

(٥) شد ملكهم: تقويته. الأود: الاعوجاج. ومن قول بعضهم في ذلك العصر:

خليفة في قفص ** ** بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له ** ** كما تقول الببغـا

(٦) أظهر: من الظهور أو من الغلبة.

١٥

قال بعضهم:

إذا أَعجَبَتْكَ خِلالُ امرِئٍ فكُنْهُ تكُنْ مثلَ مَنْ يُعجبكْ
وليسَ على المجد والمكْرُمَاتِ إذا جِئتَها حاجبٌ يَحْجُبكْ(١)

١٦

قال فتى من قيس:

اقذِفِ السَّرْجَ على المُـ ـهْرِ وقَرِّطْهُ اللِّجاما(٢)
ثُمَّ صُبَّ الدِّرْعَ في رأ سي وناولني الحُساما(٣)
فمتى أطلُبُ إن لم أطلُبِ الرزقَ غُلَاما
سأجوبُ الأرض أبغيه حلالا (لا) حَراما(٤)
فَلَعلَّ الظعنَ ينفي الـ ـفقرَ أو يُدني الحِمَاما(٥)

١٧

قال أبو روح ظفر بن عبد الله:

السيفُ يعلَمُ أن لِي في حدِّهِ سِرًّا نهاه الدهرُ عن إفشائِهِ(٦)

---

(١) المكرمات: فعل الكرم.

(٢) قرّط الفرس: ألجمها.

(٣) الحسام: السيف.

(٤) أجوب: أقطع.

(٥) الظعن: الرحيل. يدني: يقرب. الحِمام: الموت.

(٦) أفشاه: نشره وأذاعه.

والـدهرُ يعلـمُ أنَّ لي في صـدره نـارًا مُضَـرَّمةً عـلى أحشـائه[١]
ولـو أنَّ أطـرافَ السيوفِ وفـينَ لِي لأخـذتُ حَـقَّ الـدَّهْرِ مـن أبنائـه
هِمَـمٌ مُؤَرِّقَـةٌ جُفـوني كُلَّـما أَرْخـى الظـلامُ عَـلَيَّ ذيـلَ خِبائـه[٢]
هِمَـمُ النفـوس مَنُوطـةٌ بِعَنائِها والمَـرْءُ يخدعَـهُ لِسـانُ رجائـه[٣]

١٨

قال ابن قنبر:

إن كنـتَ لا ترهـبُ ذَمِّـي لِمـا تَعْلَـمُ مـن صـفحي عـن الجاهِـلِ
فـاخْشَ سُـكوتِي فَطنـا مُنصـتًا فيـك لمَسْـمُوعِ خَنـا القائِـل[٤]
فالسـامع الشـرِّ شريـك لـه ومُطعـم المـأكول كالآكـلِ
مقالـةُ السُّـوء إلى أهلهـا أسَرَعُ مـن منحـدِرٍ سـائِل[٥]
ومـن دعـا النـاسَ إلى ذَمِّـه ذمُّـوه بـالحقِّ وبالباطِـل
فـلا تهِـجِ إن كنـت ذا إربـةٍ حـربَ أخـي التجرِبـةِ العاقـلِ[٦]

---

(١) مضرمة: مشعلة.

(٢) مؤرقة: مسهرة.

(٣) الهمة: العزم القوي. منوطة: مربوطة.

(٤) الخنا: الفحش في الكلام.

(٥) أي من ماء منحدر.

(٦) الإربة: الدهاء والحيلة.

فـــإن ذا العقـــلِ إذا هجتـــه ... هِجــتَ بــه ذا خَبــلٍ خابــلِ(١)

تُبصــــر في عاجِـــل شَـــدَّاته ... عليــك غِــبَّ الضــررِ الآجِــل(٢)

١٩

قال عمارة اليمني:

العِلْـمُ مُـنْذ كـان محتـاجٌ إلى العَلـم ... وشَفْرَةُ السَّيْفِ تستغني عن القلـم(٣)

وخيرُ خيلِكَ إن غـامَرْتَ في شَرف ... عـزمٌ يُفَـرِّقُ بـين السَّـاق والقـدم(٤)

لا يُـدرِكُ المجـدَ إلا كـلُّ مقْـتحم ... في مَوْج ملْتَطِم أو فَوجِ مضـطرم(٥)

وربَّ أمــر يهــاب النــاس غايَتَــه ... والأمــر أهْــوَنُ فيــه مــن يــد لفــم

تَنمي قُوى الشيء بالتـدريج إن رُزِقـت ... لَطفا ويقوى شِرَارُ النارِ بالضَّـرَمِ(٦)

٢٠

قال التِّهامي:

لا تحمَـدِ الـدهرَ في بأسـاءَ يكشـفها ... فلــو أردت دوامَ البـؤسِ لم يَـدِمِ(٧)

---

(١) الخبل: الجنون، ووصف بالخبل لشدته وقوته.

(٢) الشدة: الحملة. غب الضرر: عاقبته.

(٣) الشفرة: حد السيف.

(٤) المغامرة: الدخول في المهالك.

(٥) مقتحم: مقدم. التطمت الأمواج ضرب بعضها بعضًا. في موج ملتطم: أي جيش عظيم. فوج: جماعة. مضطرم: مشتمل.

(٦) تنمي: تزداد وتكثر. الشرار: ما يتطاير من النار، الواحدة شرارة. الضرم: هنا ورق النخل اليابس يرمى به في النار.

(٧) البأساء: الشدة.

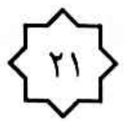
فالـدهرُ كـالطيف بؤسـاهُ وأنعُمُـهُ   عن غير قصدٍ فلا تحمَد ولا تَلُـمِ[(١)]

لا تحسـبَنْ حسَـبَ الآبـاءِ مكرُمـة   لمَـن يُقَصِّـرُ عـن غاياتِ مجدِهِمِ[(٢)]

حسـنُ الرجال بحسناهم وفخرُهُمُ   بِطَـوْلهِمْ في المعـالي لا بطُـولِهِم[(٣)]

مـا اغتـابَني حاسِـدٌ إلا شرفـتُ بِـهِ   فحاسـدي مُـنعم في زِيٍّ مُنـتقِمِ[(٤)]

فـاللهُ يكـلأُ حُسَّـادِي فـأنعُمُهُمْ   عندِي وإن وقعت عن غير قصدِهِمِ[(٥)]



قال التهامي أيضًا:

إني لأرحَـمُ حاسِـدِيَّ لِحَـرِّ مـا   ضَـمَّتْ صدورُهُم مـن الأَوْغـارِ[(٦)]

نظـروا صـنيعَ الله بي فعيـونُهم   في جَنَّـةٍ وقلـوبُهم في نـارِ

لا ذنـبَ لي كـم رُمْـتُ كَـتْمَ فضـائلي   فكـأَنَّما بَرقعْـتُ وجـهَ نَهـارِ[(٧)]

وسـترتها بتواضـعي فتطلعـت   أعناقُهـا تعلـو عـلى الأسـتارِ

---

(١) الطيف: الخيال الطائف في المنام.

(٢) الحسب: ما يعد من مفاخر الآباء. المكرمة: فعل الكرم.

(٣) الطول: الفضل والعطاء.

(٤) الزي: الهيئة.

(٥) يكلأ حسادي: يبلغهم أقصى العمر.

(٦) ضمت: جمعت، الأوغار: جمع وغر، الحقد.

(٧) برقعت: سترت.



قال أبو تمام:

ولكنّني لم احوِ وَفْرًا مجمَّعًا فَفُزْتُ بِهِ إِلَّا بِشَمْلٍ مُبَدَّدِ[١]

ولم تُعطني الأيامُ نومًا مسَكِّنًا ألَذُّ بِهِ إلَّا بنوم مُشَرَّدِ

وطول مقام المرء في الحي مُخْلِقٌ لِدِيباجَتَيْهِ فاغترِبْ تَتَجَدَّدِ[٢]

فإني رأيتُ الشمسَ زِيدتْ محبة إلى الناسِ إن ليست عليهم بسَرْمَدِ[٣]

وليس يُجَلِّي الكَربَ رُمحٌ مسَدَّدٌ إذا هُوَ لَمْ يُؤْنَسْ برأي مُسَدَّدِ[٤]

٢٣

وقال أبو تمام أيضًا:

مَن أَبَنَّ البيوتَ أصبح في ثو ب من العيش ليس بالفَضْفَاضِ[٥]

والفتى من تعرَّفَتهُ الليالي في الفيافي كالحيَّةِ النَضْنَاضِ[٦]

صَلَتانٌ أعداؤهُ حيثُ كانوا في حديث من عزمهِ مستفاضِ[٧]

---

(١) الوفر: الكثير من المال. مبدد: مفرق.

(٢) مخلق: مبلٍ. الديباجة: الوجه، والديباجتان: الخدان.

(٣) السرمد: الدائم.

(٤) يجلي: يكشف. رمح مسدد: مقوم مصوب. رأي مسدد: مرشد إلى السداد.

(٥) أبنَّ: أقام ولازم. الفضفاض: الواسع.

(٦) الفيافي: القفار، مفردها فيفاء وفيفاة. حية نضناض: محركة للسانها، أو التي لا تستقر في مكان.

(٧) الصلتان: الرجل الماضي الجادّ في أمره. مستفاض: متسع منتشر.

كُلَّ يومٍ لـه بصَـرْفِ الليـالي ... فَتْكـةٌ مثـل فَتْكـةِ الـبَرَّاضِ[١]

٢٤

قال بعضهم:

إذا ضَيَّقتَ أمـرًا ضـاق جـدًّا ... وإنْ هَوَّنْـتَ مـا قـد عَـزَّ هانـا[٢]

فـلا تهلِـكْ لشـيءٍ فـاتَ يأسًـا ... فكـم أمـر تَصَـعَّبَ ثـمَّ لَانـا

سأصـبرُ مـن رفيقـي إن جفـاني ... عـلى كـلِّ الأذى إلَّا الهَوَانـا

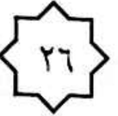
٢٥

قال الحسين بن مطير:

أُحِـبُّ مكـارمَ الأخـلاقِ جهـدي ... وأكـرهُ أن أعِيـبَ وأن أُعابـا

وأصـفح عـن سباب النـاس حلـما ... وشرُّ النـاسِ مـن يهـوى السبابا

ومَـنْ هـابَ الرِّجـال تَهَيَّبُـوهُ ... وَمَـنْ حقـرَ الرِّجـالَ فلـن يُهابـا



قال القطامي:

والنـاسُ مـن يلـقَ خـيرًا قـائلون لـه ... مـا يشـتهي ولأُمِّ المخطـئِ الهَبَـلُ[٣]

---

(١) صرف الليالي: نوائبها وحوادثها. الفتكة: القتلة على غرة. البراض بن قيس الكناني اشتهر بالفتك، وضرب به المثل فقيل: أفتك من البراض.

(٢) هون عليه الأمر: سهله، وهون الشيء استخف به. عز: اشتد. هان: سهل.

(٣) الهبل: الثكل أي: الفقد.

قــد يُـدرك المتـأني بعـضَ حاجتـهِ ... وقـد يكـون مـع المُسـتَعْجِلِ الزَّلَـلُ

وربـما فـاتَ قومًـا بعـضُ أمـرِهِم ... مِـنَ التـأني وكـان الحـزمُ لـو عَجِلُـوا

والعـيشُ لا عـيشَ إلَّا مـا تَقَـرُّ بِـهِ ... عـينٌ ولا حـالَ إلَّا سـوفَ تَنتقِـلُ[1]

٢٧

قال رجل من بني أسد:

ومـا أنـا بـالنِكسِ الـدنيّ ولا الـذي ... إذا صـدَّ عنّـي ذو المـودَّةِ أحـرَبُ[2]

ولكننـي إن دام دُمـت وإن يكـن ... لـه مـذهبٌ عني فـلي عنـه مـذهبُ

ألا إنَّ خَـيرَ الـودِّ ودٌّ تَطَوَّعَـتْ ... لـه النفس لا ود أتي وهـو مُتْعَـبُ[3]



قال القاضي الجرجاني:

يقولـون لي فيـك انقبـاضٌ وإنَّـما ... رأوا رَجُلًا عن مَوْقـفِ الذُّلِّ أحْجَما[4]

إذا قيـلَ هـذا منهَـلٌ قلـتُ قـد أرى ... ولكـنّ نفـسَ الحـرِّ تحتَمِـلُ الظَّـمَا[5]

ولم أبتـذل في خِدمَـةِ العلـم مُهْجتـي ... لأَخـدِمَ مـن لاقَيْـتُ لكـن لأُخْـدَمَا

أأشـقى بـه غرسًـا وأجنيـه ذِلَّـةً ... إذن فاتِّبـاعُ الجهـل قـد كـانَ أحزَمَـا

---

(١) قرة العين: كناية عن السرور.

(٢) النكس: الضعيف. أحرب: أقول: واحرباه، وأصل الحرب سلب المال.

(٣) تطوعت: انقادت بسهولة. أتى وهو متعب: أتى بكره ولم يأت بسهولة.

(٤) انقباض: اعتزال، أحجم: تأخر.

(٥) المنهل: المورد. الظمأ: العطش.

٢٩

قال البعيث بن حريث:

وإن مَسيري في البلاد ومنزلي ... لبالمنزل الأقصى إذا لم أُقرَّبِ[١]

ولستُ وإن قرِّبتُ يومًا ببائعٍ ... خلاقي ولا ديني ابتغاء التحبُّبِ[٢]

ويعتَدُّه قوم كثيرَ تجارةٍ ... ويمنعني من ذاك ديني ومنصبِي[٣]

٣٠

قال بعضهم:

ابغِ للعُرب من الخير ... كما تبغي لنفسِكْ

وارحمِ العربَ جميعًا ... إنَّهُمْ أبناءُ جِنْسِكَ

٣١

قال منصور الفقيه:

الموتُ أسهلُ عندي ... بين القنا والأسنه[٤]

والخيلُ تجري سِراعًا ... مُقطعاتِ الأعنَّهْ[٥]

---

(١) الأقصى: الأبعد. أقرّب: أكرم.

(٢) الخلاق: الحظ والنصيب من الخير.

(٣) المنصب: الأصل الشرف.

(٤) القنا: الرماح. الأسنة: جمع سنان، حديدة الرمح والسهم.

(٥) العنان: جلدة اللجام.

مِــــن أَنْ يكـــونَ لِنــــذلٍ   عـــــليَّ فضــــلٌ ومنـــهْ

٣٢

قال عمرو بن الأطنابة:

أَبَــتْ لي عِفَّتــي وأبــى بلائــي   وأخـذي الحمـدَ بـالثَّمنِ الـرَّبيحِ[(١)]

وإقْحَـامي عـلى المكـروه نَفْســي   وضربي هامــةَ البطــلِ المُشِـيحِ[(٢)]

وقَــولِي كلَّــما جَشَــأَتْ وجاشــت   رويــدَكِ تُحمَــدِي أو تســتريحي[(٣)]

لأَدفــعَ عـــن مـــآثر صـــالحاتٍ   وأحْمِي بعـدُ عـن عِـرْضٍ صَحِيحِ[(٤)]

٣٣

قال أبو تمام:

الحمـــدُ شـــهدٌ لا تَـــرَى مشـــتارَهُ   يَجنيــه إلَّا مـــن نقيـــعِ الحنظَـــلِ[(٥)]

---

(١) البلاء: إظهار البأس في الحرب.

(٢) إقحامي: تكليفي وإدخالي. هامة: رأس. المشيح: المبادر المنكمش.

(٣) جشأت: تحركت. جاشت القدر: غلت. يقول: أبى لي كل ذلك أن أتبع هوى النفس، وأن أجبن وأفر.

(٤) المآثر: المكارم والمفاخر. يحكى عن عظيم عربي أنه قال: عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين -أي للهزيمة- فما ثبتني إلا قول عمرو بن الأطنابة.

(٥) الشهد: بالضم والفتح العسل لم يعصر من شمعه. اشتار العسل: استخرجه. يجنيه: يستخرجه. نقيع الحنظل: الماء الذي نقع فيه الحنظل، وهو نبات شديد المرارة. =

غُـلٌّ لحامِلِـهِ ويحسَـبهُ الـذي لم يُـوهِ عاتِقَـهُ خفيـفَ المَحْمَـلِ[١]

٣٤

قال بعضهم:

كَـمْ فَاقَـةٍ مسـتورَةٍ بمُـرُوءَةٍ وَضرورة قـد غُطِّيَـتْ بتَجَمُّـلِ[٢]

ومـن ابتسـام تحتـهُ قلـبٌ شـج قـد خامرَتْـهُ لوعـةٌ مـا تَـنجلي[٣]

٣٥

قال بعضهم:

قـومٌ إذا اشـتَجرَ القنـا جعلـوا الصـدورَ لهـا مسـالكْ[٤]

اللابسـين قلـوبَهم فـوق الـدروع لـدفع ذلـك

٣٦

قال بعضهم:

يلقـى السـيوفَ بوجهـه وبنحـره ويُقـيمُ هامتَـهُ مقـامَ المِغفَـرِ[٥]

= ومن قول علقمة بن عبدة:

والحمد لا يُشترى إلا له ثمن ❊ ❊ ممـا يضن به الأقوام معلوم

(١) غل: قيد. يوهي: يضعف. العاتق: بين المنكب والعنق.

(٢) الفاقة: الفقر. التجمل: ألَّا يظهر الفقير على نفسه المسكنة والذل. الضرورة: الحاجة.

(٣) شج: حزين. خامرته: خالطته. لوعة: حرقة. تنجلي: تنكشف وتزول.

(٤) اشتجر: تداخل بعضه في بعض. القنا: الرماح.

(٥) الهامة: الرأس. المغفر: الترس.

ويقول للطّرفِ اصطبرْ لشبا القنا   فَعقرتُ ركنَ المجدِ إن لم تُعقَرِ[١]
وإذا تأمَّلَ شخصَ ضيفٍ مُقبلٍ   مُتَسَرْبِلٍ أَثْوابَ عيشٍ أغبرِ[٢]
أوْمَا إلى الكَوْماءِ هذا طارِقٌ   نَحَرَتْنِيَ الأَعْدَاءُ إن لم تُنحرِي[٣]

٣٧

قال أبو تمام:

قَلُّوا ولكنَّهُمْ طابُوا فأنجدَهُمْ   جيشٌ من الصَّبرِ لا يَحصى له عددُ[٤]
إذا رأوا للمنايا عارضًا لَبِسُوا   من اليَقينِ دُروعًا ما لها زَرَدُ[٥]

٣٨

قال هدبةُ العذريّ:

لا أتمنَّى الشَّرَّ والشَّرُّ تاركي   ولكن متى أُحْمَلْ على الشّرِ أرْكَبِ
ولستُ بمفراحٍ إذا الدهر سرّني   ولا جازعٍ من صَرْفِهِ المتَقلِّبِ[٦]

---

(١) الطرف: الحصان. الشبا: جمع شباة، حد كل شيء. عقرت: هدمت. تعقر: تنحر.

(٢) متسربل: لابس. أغبر: جدب.

(٣) أومأ: أشار. الكوماء: الناقة الضخمة السنام.

(٤) أنجد: أعان.

(٥) المنية: الموت. العارض: السحاب المعترض في الأفق. ومن شعر حبيب في هذه المعاني:

يستعذبون مناياهم كأنهم ❋ ❋ لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

(٦) الجازع: فاقد الصبر. صرف الدهر: حوادثه ونوائبه.

٣٩

قال بعضهم:

قد عشتُ في الدَّهْرِ أطوارًا على طُرُقٍ ... شَتَّى وقاسيتُ فيها اللينَ والفظعا[١]

كُلًّا بَلَوْتُ فلا النعماءُ تُبطِرُني ... ولا تَخَشَّعْتُ من لأوائِها جَزَعَا[٢]

لا يملأ الهولُ صدرِي قبلَ موقعِهِ ... ولا أضيقُ به ذَرعًا إذا وقعا[٣]

٤٠

قال المعري:

ولو أنّي حُبيتُ الخُلْدَ فَرْدًا ... لَما أحببتُ بالخُلْدِ انفرادا[٤]

فلا هطلَتْ عَلَيَّ ولا بأَرْضِي ... سحائِبُ لَيْسَ تنْتَظِمُ البلادا[٥]

٤١

قال أبو العتاهية:

ما انتفعَ المرْءُ بمثلِ عقلِهِ ... وخيرُ ذُخْرِ المرءِ حسنُ فعلِهِ[٦]

إنَّ الفسادَ ضِدُّه الصَّلَاحُ ... ورُبَّ جدٍّ جرَّهُ المُزاح

---

(١) الطور: الحال والهيئة. شتى: مختلفة. الفظع: الشدة.

(٢) بلوت: اختبرت. تبطرني: تدهشني وتطغيني. تخشعت: تذللت. الجزع: عدم الصبر على المكروه.

(٣) ضاق به ذرعًا: ضعفت طاقته، ولم يجد من المكروه مخلصًا، وأصل الذرع بسط اليد.

(٤) حبيت: أعطيت. الخلد في اللغة: البقاء والدوام.

(٥) هطل المطر: مطر متتابعا. تنتظم: تعم وتشمل.

(٦) الذخر: ما يخبأ لوقت الحاجة إليه.

مَـنْ جعـلَ الـنَّمامَ عينًـا هلَكـا ... مُبلغُـكَ الشَّـرَّ كباغِيـهِ لكـا[١]

إنَّ الشـبابَ والفـراغَ والجِـدَه ... مَفْسَـدَةٌ للمـرءِ أيُّ مَفْسَـدَه[٢]

٤٢

قال أبو علي الخزاعي:

لا تعرِضَـنَّ بِمَـزْحٍ لامـرِئٍ طَـبِنٍ ... مـا راضَـهُ قَلْبُـهُ أجـراهُ في الشَّـفَة[٣]

فـرُبَّ قافيـةٍ بـالمَزْحِ قاتِلـةٍ ... مشـئومةٍ لَمْ يُـرَد إنماؤهـا نَمَـتِ[٤]

رَدُّ السَّـلَى مسـتتِمًا بعـد قطعتِـهِ ... كَـرَدِّ قافيـةٍ مـن بعـد مـا مَضَـتِ[٥]

إنِّي إذا قلـت بيتًـا مـات قائلـه ... ومـن يُقـالُ لـه والبيـتُ لم يَمُـتِ[٦]

٤٣

قال سعد بن محمد:

لا تضَـعْ مـن عظـيمِ قَـدْرٍ وإن ... كنـت مُشـارًا إليـهِ بـالتعظيمِ

---

(١) النمام: الساعي بالحديث ليوقع فتنة.

(٢) الجدة: الغنىٰ.

(٣) الطبن: الفطن. راضه قلبه: جرى في قلبه.

(٤) نمت: علت وانتشرت.

(٥) السلى: الجلدة التي يكون فيها الولد من الناس والمواشي.

(٦) هذا مثل قوله أيضًا:

سأقضي ببيت يحمد الناس أمـره ** ويكثـر مـن أهل الرواية حامله

يموت رديء الشعر من قبل أهله ** وجيده يبقى وإن مـات قائله

فالشريف الكريم ينقصُ قدرًا ... بالتعدي على الشريفِ الكريم

وَلَعُ الخمرِ بالعقولِ رمى الخمـ ... ـرَ بتنجيسها وبالتحريمِ(١)

٤٤

قال علي بن الجهم:

هيَ النفس ما حَمَّلْتَها تَتَحمَّلُ ... وللدَّهْرِ أيَّامٌ تجورُ وتعدِلُ

وعاقبةُ الصبرِ الجميلِ جميلةٌ ... وأفضلُ أخلاقِ الرجالِ التحمُّلُ(٢)

٤٥

قال الأبيوردي:

تنكَّر لي دهري ولم يدرِ أنَّني ... أعِزٌّ وأحداثُ الزَّمانِ تهونُ(٣)

فباتَ يُريني الخطبَ كيفَ اعتداؤه ... وبِتُّ أُريهِ الصبرَ كيفَ يكونُ(٤)

٤٦

قال ابن خالويه:

إذا لم يكن صدرُ المجالس سَيِّدًا ... فلا خيرَ فيمن صَدَّرتهُ المجالِسُ

وكم قائل ما لي رأيتُكَ راجلا ... فقلت له من أجل أنَّكَ فارِسُ

---

(١) ولع فلان بفلان يولع: حرص على إيذائه.

(٢) التحمل: الاحتمال، وإن كانت التجمل فمعناها عدم إظهار المسكنة والذل.

(٣) تنكر: تغير عن حاله.

(٤) الخطب: الأمر المكروه.

٤٧

قال أبو الحسن محمد بن محمد:

كم يفعلُ الدهر بي ما لا أُسَرُّ بِهِ ... وكم يُسيء زمان جائرٌ حنِقُ[1]

كم نفخةٍ لي على الأيام من ضَجَرٍ ... تكادُ من حَرِّها الأيَّامُ تحترقُ

٤٨

قال بعضهم:

ما أكثرَ الناسَ لا بل ما أقَلَّهُمُ ... الله يعلم أنِّي لم أقلْ فَنَدَا[2]

إنِّي لأُغمِضُ عيني ثمَّ أفتحُها ... على كثيرٍ ولكن لا أرى أحدَا

٤٩

قال أبو تمام:

إن شئتَ أن يسودَّ ظنك كُلُّهُ ... فأجِلْه في هذا السوادِ الأعظمِ[3]

ليسَ الصديقُ بمن يُعيركَ ظاهرًا ... مُتبسِّمًا عن باطِنٍ مُتجَهِّمِ[4]

---

(١) الحنق: الشديد الغيظ.

(٢) الفند: الخطأ والكذب.

(٣) السواد الأعظم: جماعة الناس.

(٤) متجهم: نافر كريه. من هنا أخذ الأبيوردي قوله:

فسد الزمان فكل من صاحبته ** راج ينافق أو مداج خاش

وإذا اختبرتهم ظفرت بباطن ** متجهم وبظاهر هشاش

٥٠

قال إبراهيم بن عباس الصُّولي:

أولى البَرِيَّــــةِ طُـــرًّا أن تراعيَـــــه عنـد السـرورِ الـذي راعـاك في الحَـزَنِ[١]

إنَّ الكـــــرامَ إذا أَسْـــهَلوا ذكـــروا مـن كـان يـألفُهُمْ في المنزلِ الخَشِـنِ[٢]

٥١

قال دريد بن الصّمةِ -من قصيدة يبكي بها أخاه-:

فـــإن يـــكُ عبـــدُ الله خَـــلَّى مكانَـــهُ فـما كـان وَقَّافًـا ولا طـائِشَ اليَـدِ[٣]

قَليـلُ التشـكِّي للمصـيبات حـافِظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديث في غدِ[٤]

وإن مَسَّــــهُ الإقـــواءُ والجهـــدُ زادَهُ سَـمَاحًا وإتلافًـا لِمَـا كـان فِي اليَـدِ[٥]

٥٢

قال أبو تمام -من قصيدة يرثي بها عظيمًا عربيًا-:

فَتًى ماتَ بين الطعن والضـرب ميتَـة تقـومُ مقـامَ النَّصـرِ إن فاتـه النَّصْـرُ

---

(١) راعاه: لاحظه محسنًا إليه.

(٢) أسهلوا: انتقلوا من الشدة إلى الرخاء، والأصل: نزلوا من الجبل إلى السهل. هذان البيتان جاءا في ديوان حبيب، وهما للصولي.

(٣) خلى مكانه: مضى لسبيله. وقاف: هيابة يقف. الطائش: الذي لا يصيب إذا رمى.

(٤) يريد بقوله: قليل التشكي نفي إفراغ التشكي. حافظ: ألح أي: يلفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس في غده.

(٥) الإقواء: الفقر.

وقد كان فوتُ الموتِ سَهْلًا فردَّهُ إليهِ الحفاظُ المرُّ والخَلُقُ الوَعرُ[(١)]

فتى كان عذبَ الروحِ لا من غَضَاضَةٍ ولكِنَّ كِبرًا أنْ يُقالَ بِهِ كِبْرُ

٥٣

قال امرؤ القيس:

بكى صاحبي لَمَّا رأى الدَّربَ دُونَهُ وأيقنَ أنَّا لاحقان بقيصَرا[(٢)]

فقلتُ له لا تبكِ عينُك إنَّما نحاوِلُ مُلكا أو نَموتَ فَنُعْذَرَا

٥٤

قال ذو الإصبع العدواني:

إنِّي أبِيٌّ أبِيٌّ ذو مُحافَظَةٍ وابنُ أبيٍّ أبيٍّ من أبيّينِ[(٣)]

لَا يُخرِجُ القسرُ مِنِّي غيرَ مَأبِيَةٍ ولا ألينُ لمن لا يبتغي لِينِي[(٤)]

والله لو كرِهتْ كفي مُصاحبتي لقلتُ إذ كرهت قُربي لها بيني[(٥)]

---

(١) فوت الموت: النجاة منه. حافظ عن المحارم: دافع، يقال لمن له أنفة: إنه لذو حفاظ. المر: يقصد الشديد القوي. الوعر: الصلب الشديد.

(٢) الدرب: كل مدخل إلى الروم، والدرب أيضًا باب السكة الواسع. ومن قول الملك الضليل:

فلو إنما أسعى لأدنى معيشة ** كفاني ولم أطلب قليلًا من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل ** وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

(٣) الأبي: الذي لا يرضى الدنية كبرًا.

(٤) القسر: الكره والجبر.

(٥) بيني: أبعدي.

كُـلُّ امـرِئ صـائِرٌ يومًـا لشـيمتِهِ   وإن تخلَّـقَ أخلاقًـا إلى حـينِ[(١)]

٥٥

قال سويد اليشكري:

كتـبَ الـرحمنُ والحمـدُ لـه   قُـوَّةَ الأخـلاق فينـا والضَّـلَعْ[(٢)]

وإبـاءً للـدَّنِيَّاتِ إذا   أعطِـيَ المكثـورُ ضَـيمًا فَكَنَـعْ[(٣)]

وبنـاءً للمعـالي إنَّـما   يَرْفَـعُ اللهُ ومـن شـاء وَضَـعْ

نِعَـمٌ للهِ فينـا رَبَّهـا   وصـنيعُ اللهِ واللهُ صـنع[(٤)]

٥٦

قال عنترة:

هَـلَّا سـألتِ الخيـلَ يـا بنـةَ مالِـكٍ   إن كُنـتِ جاهلـةً بـما لم تعلمـي[(٥)]

يُخْبرْكِ مـن شَـهِدَ الوقيعـةَ أنَّنِـي   أغشى الـوغَى وأعِـفّ عنْدَ المغنَمِ[(٦)]

---

(١) الشيمة: الطبيعة. تخلق أخلاقًا: تكلفها واستعملها.

(٢) الضلع: القوة واحتمال الثقيل.

(٣) كثرة: غلبه في الكثرة. كنع: تقبض وانضم.

(٤) رب النعمة زادها.

(٥) هلا للتحضيض. يا بنة مالك بحذف ألف ابنة لوقوعها بعد ياء النداء. الخيل المقصود أهلها الفرسان.

(٦) الوقيعة: الحرب. أغشى: أدخل. المغنم: الغنيمة.

٥٧

قال رجل من بني قيس:

إن تُبتَدَرْ غايةٌ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ ... تلقَ السوابقَ مِنَّا والمصلِّينَا[١]

إنَّا لنُرخِصُ يومَ الروعِ أنْفُسَنَا ... ولو نَسامُ بهَا في الأمن أُغلِينَا[٢]

إني لِمَنْ معشرٍ أفنى أوائِلُهُمْ ... قيلُ الكُماةِ ألا أين المحامونا[٣]

لو كان في الألف مِنَّا واحِدٌ فدعوا ... مَنْ فارِسٌ خالهم إيَّاهُ يعنونا[٤]

إذا الكماةُ تَنَحَّوْا أن يصِيبَهُمُ ... حَد الظُّبَاةِ وصلناها بأيدينا[٥]

٥٨

قال بشار:

إذا بلغَ الرأيُ المشورةَ فاستَعِنْ ... برأي نصيحٍ أو نصيحةِ حازم

ولا تجعلِ الشُّورَى عليك غضاضَةً ... فإنَّ الخوافي قوةٌ للقوادِمِ[٦]

---

(١) ابتدر الغاية وإلى الغاية سبق. لمكرمة: لاكتساب مكرمة. السابق والمصلى من خيل الحلبة فالسابق الأول، والمصلي الذي يتلوه، هذا هو الأصل.

(٢) الروع: الحرب. سام المشتري السلعة: طلب بيعها. أغلين: وجدت غالية. النون ضمير الأنفس، والألف للإطلاق.

(٣) الكماة: الشجعان المتسلحون.

(٤) خالهم: ظنهم. يعنون: يقصدون.

(٥) الظباة: جمع ظبة: حد السيف، وأراد السيوف بأسرها.

(٦) الشورى: اسم بمعنى التشاور. الغضاضة: الذل. القوادم: ريشات في مقدم الجناح، وهي كبار الريش، والخوافي صغاره، وهي تحت القوادم.

وَمَا خيرُ كَفٍّ أمسك الْغُلُّ أختَهَا ... وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيدْ بقائِمِ[١]

وخلِّ الهُوَيْنى للضعيف ولا تكن ... نَؤومًا فإنَّ الحزمَ ليسَ بنائِمِ[٢]

وحاربْ إذا لم تعطَ إلّا ظُلَامةً ... شبا الحربِ خيرٌ من قبولِ المظالمِ[٣]

وما قَرَعَ الأقوامَ مثلُ مُشَيْعٍ ... أريبٍ ولا جلَّى العَمَى مثلُ عالمِ[٤]

٥٩

قال معن بن أوس:

إذا أنت لم تُنصفْ أخاكَ وجدتَهُ ... على طرَف الهِجرانِ إن كان يعقل

ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تَضِيمَهُ ... إذا لم يكن عن شفرةِ السيف مزحَلُ[٥]

وكنت إذا ما صاحبٌ رامَ ظِنّتِي ... وبَدّلَ سُوءًا بالذي كنت أفعَلُ[٦]

---

(١) ما استفهامية. الغل: طوق من حديد. قائم السيف: مقبضه.

(٢) الهويني: تصغير الهونى مؤنث الأهون، ويجوز أن تكون اسمًا من الهون بالفتح بمعنى الرفق والتؤدة.

(٣) الظلامة: يعني الظلم. شبا كل شيء حده، جمع شباة.

(٤) قرع: غلب. مشيع: شجاع. أريب: عاقل. جلى: كشف. العمى: الجهل. قال الأصمعي: قلت لبشار: يا أبا معاذ! إن الناس يعجبون من أبياتك في المشورة؛ فقال لي: يا أبا سعيد إن المشاور بين صواب يفوز بثمرته، أو خطأ يشارك في مكروهه؛ فقلت له: أنت والله في قولك هذا أشعر منك في شعرك.

(٥) تضيمه: تظلمه. شفرة السيف: حدهُ. مزحل: مبعد.

(٦) الظنة: التهمة.

قلبت له ظهر المِجَنِّ فلم أدُمْ ... على ذاكَ إلا ريثما أتحوّلُ[(١)]

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكدْ ... إليه بوجهٍ آخرَ الدهرِ تُقبِلُ

٦٠

قال النابغة الجعدي:

بلغنا السماءَ مجدُنا وجدودُنا ... وإنَّا لَنبغي فوقَ ذلك مَظهرا

ولا خيرَ في حِلم إذا لم تكن لَهُ ... بوادرُ تحمي صفوَهُ أن يُكدَّرا[(٢)]

ولا خيرَ في جهل إذا لم يكن لهُ ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا[(٣)]

٦١

قال الأفوهَ الأودي:

لا يصلُحُ الناسُ فوضى لا سراةَ لهُمْ ... ولا سراةَ إذا جُهَّالهُمْ سادُوا[(٤)]

تبقى الأمور بأهل الرأي ما صَلَحَتْ ... فإن تَولَّتْ فبالأشرار تنقادُ

---

(١) المجن في اللغة: الترس أي: تغيرت له وزلت عن مودته. قالوا: والأصل في ذلك أن المقاتل يكون ظهر مجنة إلى أعدائه، وبطنه إلى أوليائه، فإذا صار مع أعدائه جعل ظهر مجنه مما يلي أصحابه. الريث: البطء. لم أدم على ذاك إلا ريثما أتحول أي: مقدار ما تحولت، وهو في الأصل مصدر أجروه ظرفًا، وأكثر استعماله مستثنى في كلام منفي.

(٢) البادرة: الحدة.

(٣) قال النابغة: أنشدت النبي ﷺ هذا القول فقال: «**أجدت لا يفضض الله فاك**»، فأعظم بقول استجاده النبي ﷺ أعظم به ثم أعظم. [والحديث ضعيف].

(٤) فوضى: متفرقون مختلط بعضهم ببعض. السري: الماجد.

والبيتُ لا يُبتنى إلا له عمَدٌ ... ولا عمادَ إذا لم تَرْسُ أوتادُ[١]

فإن تجمَّعَ أوتادٌ وأعمِدَةٌ ... وساكن بلغوا الأمرَ الذي كادُوا

٦٢

قال أيمن بن خريم:

وصهباءَ جُرجانيةٍ لم يَطُف بها ... حنيفٌ ولم تنغر بها ساعةً قِدْرُ[٢]

ولم يحضُرِ القسُّ المُهينمُ نارَها ... طُروقًا ولم يشهد على طبخها حَبْرُ[٣]

أتاني بها يحيى وقد نِمتُ نومةً ... وقد غابت الشعرى وقد جنحَ النَّسْرُ[٤]

فقلتُ اغتبقها أو لغيريَ فاسقِها ... فما أنا بعد الشيبِ ويحكِ والخَمْرُ[٥]

تعففتُ عنها في العصور التي خلت ... فكيف التصابي بعد ما كلأ العُمْرُ[٦]

إذا المرءُ وَفَّى الأربعينَ ولم يكن ... له دون ما يأتي حياءٌ ولا سَتْرُ

فدعه ولا تنفس عليه الذي ارتأى ... وإن جَرَّ أسبابَ الحياةِ له الدهر[٧]

---

(١) رسا الشيء: ثبت.

(٢) الصهباء: الخمر. الحنيف: مقصوده المسلم.

(٣) المهينم: الذي يردد صوته خفيًا لا يفهم. الحبر: كاهن اليهود.

(٤) جنح: مَالَ. النسر: نجم في السماء.

(٥) اغتبق الخمر: شربها بالعشي.

(٦) التصابي: الميل إلى الصبوة «جهل الفتوة». كلأ العمر: انتهى إلى آخره.

(٧) نفسه عليه: لم يره أهلًا له. ارتأى: افتعل من الرأي. قال الهيثم بن عدي: «كنا نقول بالكوفة: إنه من لم يرو هذه الأبيات فلا مروءة له».

٦٣

قال إبراهيم النبهاني:

فـإن تكـن الأيَّـامُ فينـا تبـدَّلَتْ ... ببؤسى ونعمى والحوادثُ تفْعَلُ[1]

فَـما لَيَّنَـتْ مِنَّـا قنـاةً صـليبةً ... ولا ذلَّلَتْنـا لِلّتـي لـيس تجْمَـلُ[2]

٦٤

قال بعضهم:

لله دَرُّ النائبـاتِ فإنَّهـا ... صَـدأ اللئـام وصـيقَلُ الأَحـرارِ[3]

٦٥

قال علي بن موسى:

خُلِقْتُ امرَءًا لا أخلِطُ الجدَّ بـالهزلِ ... ولا أتعـدى القـولَ إلَّا إلى الفعـلِ

ولا تَتخطَّـى بي إلى الـدون هِمَّتـي ... ولا يزدهيني حُبُّ نُعْمٍ وَلَا جُمْلِ[4]

أُحِـبُّ مـن الأقـوال مـا كـان صـادِقًا ... وأرضى من الأفعال ما جاز في العقلِ

---

(١) قوله والحوادث تفعل: اعتراض؛ والمعنى أنها تفعل الأفعال المعروفة والمشكورة وتأتي باللين والصعوبة.

(٢) العرب تضرب المثل بالقناة فيقولون: قناة بني فلان صلبة، أي هم أعزاء أشداء. وقناتهم خوارة، أي هم ضعاف أذلة. قالت امرأة من العرب:

إذا قناة امرئ أزرى بها خور ** ** هـزَّ ابن سعد قناة صلبة العود

(٣) الصيقل: شحاذ السيوف وجلاؤها، ومثل هذا البيت قول جزء أخي الشماخ:

إذا رنقت أخلاقَ قوم مصيبة ** ** تصفـى لها أخلاقهم وتطيب

(٤) تتخطى بي إليه: تسوقني إليه. ازدهاه: استخفه.

وأحلُـم إلَّا عـن أمـور يَسـيرةٍ … يرى العقلُ فيها الحلمَ ضربًا من الجهلِ
وأصبرُ حَتَّى يحسبَ الدهرُ أَنَّني … أُلاحظُ منه الجورَ في صورة العدلِ
ولا أكْتمُ العلمَ الذي شَحَّ أهلُهُ … عليه فكتمانُ العلوم من البخلِ[(١)]
ولا فضلَ عند المرءِ يُصبحُ فاضِلًا … إذا كان يأبى أن يُشاركَ في الفضلِ

٦٦

قال بعضهم:

وما عبَّر الإنسانُ عن فضل نفسه … يمثل اعتقادِ الفضل في كل فاضِلِ
وإنَّ أشدَّ النقصِ أن يرميَ الفتى … قذى العيب عنه بانتقاصِ الأفاضلِ[(٢)]

٦٧

قال بعضهم:

لا تحقِرَنَّ امرءًا قد كان ذا ضعةٍ … فكم وضيع من الأقوام قد رأَسا[(٣)]
فَرُبَّ قومٍ جفوناهم فلم نرَهُمْ … أهلا لخدمتنا صاروا لنا رُؤسا

٦٨

قال بعضهم:

وما سفهُ السفيه وإن تَعَدَّى … بأنجعَ فيك من حلم الحليمِ[(٤)]

---

(١) شح: بخل.

(٢) انتقصه: عابه.

(٣) رأس القوم: صار رئيسهم.

(٤) أنجع: أكثر تأثيرًا.

متــى أحفظــتَ ذا كَــرَم تَخَطــى ... إليــك بــبعض أفعــالِ اللئــيم[١]

٦٩

قال أبو العتاهية:

لا تســـألَنَّ المـــرءَ ذات يديـــهِ ... فليحقرَنَّـــكَ مـــن رغبـــتَ إليـــه[٢]

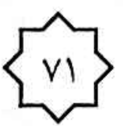
المـــرء مـــا لم تـــرزَهُ لـــك مُكـــرمٌ ... فـــإذا رزأتَ المـــرءَ هنـــتَ عليـــهِ[٣]

٧٠

قال أبو فراس:

كيف يُرجى الصلاحُ من أمر قوم ... ضـيَّعوا الحـزمَ فيـه أيَّ ضَـياع

فمُطـــاعٌ ولـــيس فيـــه سَـــدادٌ ... وســـديد المقـــالِ غـــيرُ مطـــاعِ[٤]



قال سالم بن عمرو:

لا تســـألِ المـــرْءَ عـــن خلائقِـــهِ ... في وجهـــه شـــاهد مـــن الخـــبر[٥]

---

(١) أحفظتَ: أغضبتَ.

(٢) ذات يديه: مقصود ماله.

(٣) رزأه: خسره. هنت عليه: صغرت في عينه.

(٤) السداد: الرشاد.

(٥) الخلائق: جمع خليقة، الطبيعة.

٧٢

قال معن بن أوس:

رأيتُ رجالًا يكرهون بناتِهم   وفيهِنَّ لا نُكذبْ نساء صوالح[١]
وفيهن والأيّامُ يعثُرْنَ بالفتى   عوائدُ لا يُمْلُلْنَهُ ونوائِحُ[٢]

٧٣

قال البستي:

فسامحْ ولا تستوفِ حقك كُلَّهُ   وأبق فلم يَستقصِ قَطُّ كريمُ[٣]
ولا تَغْلُ في شيء من الأمر واقْتَصِدْ   كلا طَرَفَيْ قصد الأُمورِ ذميم[٤]

٧٤

قال أبو الجوائز الحسن بن علي:

دَعِ الناسَ طُرًّا واصرف الوُدَّ عنهُمُ   إذا كُنْتَ في أخلاقهم لا تُسامِحُ[٥]
ولا تبغِ مِن دهر تَظاهَرَ رَنْقُهُ   صفاءَ بنيه فالطِّباعُ جوامِحُ[٦]

---

(١) لا نكذب: لا نخدع ولا نمل إلى الباطل.

(٢) يعثرن بالفتى: يتنكرن له ويخاصمنه. العوائد: زائرات المريض في مرضه.

(٣) أبق: ارع ارحم. الاستقصاء: المبالغة.

(٤) لا تغل: لا تبالغ. اقتصد: اعتدل.

(٥) لا تسامح: لا تساهل.

(٦) تظاهر: قوي وعظم. الرنق: الكدر. جمح الفرس: ركب رأسه لا يثنيه شيء، وجمح براكبه اعتزه وجرى غالبًا إياه.

٧٥

قال بعضهم:

اخترْ لنفسك من تُعادي ... كاختيارك من تُصادقْ
إنَّ العدَوَّ أخو الصديقِ وإن تباينت الطرائق[1]

٧٦

قال البستي:

وما غربةُ الإنسان في شُقَّةِ النوى ... ولكنها واللهِ في عدَم الشَّكْل[2]
وإني غريبٌ بين بست وأهلها ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

٧٧

قال بعضهم:

يا لهفَ نفسي على مالٍ أفرقُه ... على المقلِّينَ من أهل المروءاتِ[3]
إنّ اعتذاري إلى من جاء يسألني ... ما ليس عندي من إحدى المصيباتِ

---

(١) تباينت: اختلفت. قالوا: عدو عاقل خير من صديق جاهل. وقال بعضهم: يقرظ كبيرًا: ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية. وهذه الحالة العاقل الأريب حقيق بألَّا يزايلها.

(٢) الشقة: المشقة والبعد. الشكل: النظير. وللمتنبي:

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني ** إن النفيس غريب حيثما كانا

(٣) لهف: تحسر.



قال ابن الرومي:

بلـد صـحبتُ بـهِ الشـبيبةَ والصِّـبا   ولبسـتُ ثـوبَ العـيشِ وهـو جديـدُ

فـإذا تمثـل في الضـمير رأيتُـهُ   وعليـه أغصـان الشـبابِ تميـدُ[١]

٧٩

قال بعضهم:

فـلا وأبيـكَ[٢] مـا في العـيشِ خـيرٌ   ولا الـدنيا إذا ذهــبَ الحيـاءُ

يعـيش المـرءُ مـا اسـتحيا بخـيرٍ   ويبقـى العُـودُ مـا بقِـيَ اللِّحـاءُ[٣]

٨٠

قال إبراهيم بن علي الشيرازي:

تـراه مـن الـذكاء نحيـفَ جِسْـمٍ   عليـهِ مـن تَوَقُّـدِهِ دليـلُ[٤]

إذا كـان الفتـى ضـخمَ المعـالي   فلـيس يضـره الجسـمُ النحيـلُ

---

(١) تمثل: تصور. تميد: تهتز. ولهذا القائل أيضًا:

ولي وطن آليت ألا أبيعـه ** وألا أرى غيري له الدهر مالكا

وحبب أوطان الرجال إليهـم ** مـآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكـرتهم ** عهـود الصبا فيها فحنوا لذلكا

(٢) هذا من القسم بغير الله وهو أمر محرم. [الشايع].

(٣) اللحاء: ما على العود من قشره.

(٤) توقد النار: اشتعالها.

٨١

قال ابن الجهم:

لَجلسةٌ مع أديب في مذاكرةٍ ... أنفي به الهمَّ أو أستجلبُ الطربا

أشهى إليَّ من الدنيا وزخرُفها ... وملئِها فضةً أو ملئها ذَهَبا

٨٢

قال التهاميّ -في ولده-:

ولَمَا أتى بعد المشيب عدلتُه ... بعصر الشباب الغضِّ بورك من عصر[١]

وقلتُ شبابُ ابني شبابي وإنما ... يُنقَّلُ معنى الشَّطرِ مني إلى الشطرِ

٨٣

قال لسان الدين بن الخطيب:

سرق الدهرُ شبابي من يدي ... ففؤادي مترَعٌ بالكَمدِ[٢]

وحِمدتُ الأمرَ إذ أبصرتُه ... باعَ ما أفقدني من ولدي

٨٤

قال بعضهم:

اطلبْ ولا تضجرَ من مطلب ... فآفةُ الطالبِ أن يضجِرا[٣]

---

(١) الغض: الناضر الحسن.

(٢) مترع: مملوء. الكمد: الحزن.

(٣) اطلب ولا تضجر الواو عاطفة مصدرًا يسبك من أن والفعل على مصدر متوهم من الأمر السابق، أي ليكن منك طلب وعدم ضجر، ولا نافية، ومثل ذلك: أتتني ولا أجفوَك.

أمـــا تـــرى المـــاء بتكـــراره   في الصــخرة الصــماءِ قــد أثَّـــرا

٨٥

قال الطغرائي:

وإنــما رجــل الـــدنيا وواحـــدها   مــن لا يعــوِّل في الــدنيا عــلى رجــلِ

٨٦

قال ابن الوردي:

أنــــا لا أختــــارُ تقبيـــلَ يـــد   قطعهـــا أجمـــل مـــن تلـــك القُبَـــلْ

٨٧

قال محمد بن بشير:

لأَن أُزَجِـيَ عنــد العُــرْي بــالخَلَقِ   وأجتـزِي مـن كثـير الـزاد بـالعُلَقِ[1]

خــيرٌ وأكــرم لي مــن أن أرى مِنَنًــا   معقــودةً للئــام النــاسِ في عُنُقــي[2]

إني وإن قَصُــرَت عــن هِمَّتــي جِــدَتي   وكــان مــاليَ لا يَقْــوَى عــلى خُلُقِــي[3]

---

(١) أزجى: أسوق. الخلق: الثوب البالي. أجتزئ: أقنع. العلق: جمع علقة البلغة أي القليل من العيش.

(٢) لبعضهم:

إذا أعطشتك أكف اللئـــام ❊ ❊ كفتك القناعة شبعًا وريــا

فكن رجلًا رجله في الثرى ❊ ❊ وهامة همته في الثريـــــا

فإن إراقة ماء الحيـــــاة ❊ ❊ لدون إراقة ماءَ المحيــــا

(٣) الجدة: الغنى.

لتـارِكٌ كُـلَّ أمـرٍ كـان يُلزِمُنـي عـارًا ويُشـرِعني في المنهَـلِ الرَّنِـقِ[١]

٨٨

قال سلم بن عمرو:

مـن راقـب النـاس مـات غَـمًّا وفـازَ باللـذّةِ الجسـورُ

٨٩

قال أبو نواس:

لا تنتهـي الأنفـسُ عـن غَيِّهـا مـا لم يكـن منهـا لهـا زاجِـر[٢]

٩٠

قال التهامي:

ثـوبُ الريـاءِ يَشُـفُّ عـمَّا تحتَـه فـإذا التحفـتَ بـهِ فإنَّـك عـارِ[٣]

٩١

قال بعضهم:

ومـا بقيـت مـن اللـذات إلَّا أحاديـثُ الرجـال ذوي العقـول[٤]

---

(١) يشرعني: يخوض بي. المنهل: المورد. الرنق: الكدر.

(٢) قال صاحب النهج: من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها لا واعظ ولا زاجر.

(٣) شف الثوب: رق حتى ظهر ما تحته.

(٤) إذا فصل بين الفعل والفاعل المؤنث بـ«إلّا» لم يجز إثبات التاء عند الجمهور وقد ورد:

ما برئت من ريبة وذم ** في حربنـا إلا بنات العم

وقــد كنــا نعــدُّهُم قلــيلًا فقــد صــاروا أقــلّ مــن القليــلِ

٩٢

قال المتوكل الليثي:

لســنا وإن أحســابُنا كَرُمــت يومًــا عــلى الأحســاب نَتَّكــلُ

نبنــي كــما كانــت أوائلُنــا تبنــي ونفعــلُ مثــلَ مــا فعلــوا

٩٣

قال بعضهم:

متى تجمعِ القلبَ الذكيَّ وصارمًا وأنفًـا حَميًّـا تجتنبْـك المظـالمُ[1]

٩٤

قال قَطَري:

ألا أيُّهــا البــاغي الــبَرازَ تقــرَّبَنْ أُساقِكَ بـالموت الزُّعـافَ المقَشَّبا[2]

فــما في تســاقي المــوت في الحــرب سُــبَّةٌ علـى شـاربيهِ فاسـقني منـه واشربـا[3]

---

(١) الصارم: السيف.

(٢) الزعاف: سم ساعة. المقشب: الذي قد خلط به أدوية تقويه. التساقي: أن يسقي بعضهم بعضًا.

(٣) السبة: العار. واشربا قلبت نون التوكيد فيها ألفًا. وقطري هو صاحب الأبيات المعلومة المشهورة التي تشجع أجبن الخلق، والتي منها هذا البيت:

وما للمرء خير في حياة ** إذا ما عد من سقط المتاع

٩٥

قال يحيى بن منصور الحنفي:

فلـــمّا نــأت عنّــا العشــيرةُ كُلُّهــا ... أنخنا فحالفنا السيوفَ على الدهر[١]

فـــما أســلمتنا عنــد يــومِ كريهــةٍ ... ولا نحن أغضينا الجفونَ على وِترِ[٢]

٩٦

قال سعد بن ناشب:

تفنِّــدني فــيما تــرى مــن شَراســتي ... وشدّةِ نفسي أُمُّ سَعدٍ وما تدري[٣]

فقلــت لهــا إنَّ الكــريمَ وإن حــلا ... ليُلفى على حالٍ أمرَّ من الصبرِ[٤]

وفي اللــين ضــعفٌ والشَّراســةُ هيبــةٌ ... ومن لم يُهبْ يُحملْ على مركب وعرِ[٥]

ومــا بي عــلى مــن لان لي مــن فظاظــةٍ ... ولكنني فــظٌ أبِيٌّ عــلى القَسْــرِ[٦]

---

(١) نأت ابتعدت. أناخ الجمل: أبركه.

(٢) الكريهة: الحرب. الوتر: الثأر.

(٣) تفندني: تجهلني.

(٤) يلفى: يوجد. على حال: أي على حال تقتضي ذلك.

قال الشنفرى الأزدي في هذا المعنى:

وإني لحلو إن أريدت حلاوتي * * * ومر إذا نفس العزوف استمرت

أبي لما آبى سريع مبــــاءتي * * * إلى كل نفس تنتحي في مســرتي

(٥) من لم يهب سيم الضيم.

(٦) القسر: القهر على الكره، أي إنما أشارس من يبغي قهري.



قال الحارث بن عباد:

قربّـا مِـربَطَ النعامـةِ منِّـي لقحـت حـربُ وائـلٍ عـن حيـالِ[١]

قربـا مـربط النعامـة منـي إنَّ بيـعَ الكـرامِ بالشِسْـعِ غـالِ[٢]

لم أكـن مـن جُناتِهـا علـم اللهُ وإني بحرِّهـا اليـومَ صـالِ[٣]

---

(١) لقحت الخ: هاجت بعد سكون. المربط: ما تربط به الدابة. النعامة: فرس الحارث.

(٢) الشسع: زمام النعل «خيطها».

(٣) صلي بالنار: احترق بها وقاسى حرها.

قال معاوية لدغفل: أخبرني عن قومك بكر بن وائل واصدقني. قال: كانوا أهل عز قاهر، وشرف ظاهر، ومجد فاخر، قال: فأخبرني عن إخوتهم تغلب، قال: كانوا أسودًا ترهب، وسهامًا لا تقرب، وأبطالًا لا تكذب، قال: أخبرني كم أديلوا عليكم في قتلكم كليبًا؟، قال: أربعين سنة لا ننتصف منهم في موطن نلقاهم فيه حتى كان يوم التحاليق يوم الحارث بن عباد بعد قِتْلَة ابنه بجير.

وكان أرسله في الصلح بين القوم فقتله مهلهل، وقال: «بؤ بشسع نعل كليب»، فقال الغلام: إن رضيت بهذا بنو بكر رضيت، فبلغ الحارث، فقال: نعم القتيل قتيلًا إن أصلح الله به بين بكر وتغلب وباء بكليب. فقيل له: إنما قال مهلهل: «بؤ بشسع نعل كليب» فتشمر الحارث للحرب، وقد كان قد اعتزلها، وأكبر قتل كليب-، وأمر بحلق رؤوسنا أجمعين وهو يوم التحاليق -وله خبر- فأدلنا عليهم يومئذ، فلم نزل منهم ممتنعين إلى يومنا هذا.

٩٨

قال التهامي:

ومن فاته نيل العُلَى بعلومِهِ وأقلامه فليبغِها بحُسامِهِ[١]
فموتُ الفتى في العز مثل حياته وعيشته في الذل مثلُ حِمامِهِ[٢]

٩٩

قال بعضهم:

ولا يقيم على خَسْفٍ يُرادُ بهِ إلا الأذَلَّانِ عَيرُ الحي والوتِدُ[٣]
هذا على الخسف مشدودٌ برُمَّتِه وذا يُشَجُّ فلا يَرْثي له أحدُ[٤]

١٠٠

قال عنترة:

بكرَت يُخوّفني الحتوفَ كأنّني أصبحتُ عن غرضِ الحتوفِ بِمَعزِلِ[٥]
فأجبتُها إنَّ المنيَّةَ منهَلٌ لابُدَّ أن أُسقى بكأسِ المنهَلِ[٦]

---

(١) الحسام: السيف القاطع.

(٢) الحمام: الموت.

(٣) الخسف: الذل والنقيصة. العير: الحمار.

(٤) الرمة: الحبل. يشج: يكسر. يرثي له: يرحمه.

(٥) الحتوف: جمع حتف، وهو الموت أو مصدر.

(٦) منهل: مورد.

فاقنَي حياءك (لا أبا لك) واعلمي أني امـرُؤٌ سـأموت إن لم أُقتَـلِ(١)

١٠١

قال الحصين المري:

ولسـتُ بمبتـاعِ الحيـاةِ بسـبَّةٍ ولا مرتقٍ من خشيةِ الموتِ سُلَّما(٢)

تـأخَّرْتُ أستبقي الحياة فلم أجِد لنفـسي حيـاةً مثـل أن أتقـدما

فلسنا على الأعقابِ تَدْمى كلُومُنا ولكـن عـلى أقـدامنا تقطر الـدما(٣)

١٠٢

قال زهير:

ومـن لم يَـذُدْ عـن حوضـه بسـلاحه يُهَـدَّمْ ومـن لا يظلـمِ النـاسَ يُظلـمِ(٤)

ومن يغترب يحسب عَـدُوًّا صـديقَه ومـن لا يُكَـرّمْ نَفْسَـهُ لاَ يُكَـرَّمِ(٥)

ومهـما تكـنْ عنـد امـرِئ مـن خليقـة وإن خالهـا تخفـى عـلى النَّـاسِ تُعْلَـمِ(٦)

---

(١) أقني حياءك: الزمية. «لا أبا لك»: للتنبيه لا للذم.

(٢) السبة: العار. الخشية: الخوف.

(٣) العقب: مؤخر القدم. يقول: نحن لا نولي فنجرح في ظهورنا فتقطر دماؤنا على أعقابنا، ولكن نستقبل السيوف بوجوهنا، فإن أصابنا جراح قطرت دماؤنا على أقدامنا.

(٤) الذود: الكف والردع. مبغى زهير أن يقوى المرء لئلا يظلم (والله أعلم).

(٥) من سافر واغترب حسب الأعداء أصدقاء لأنه لم يجربهم؛ فتوقفه التجارب على ضمائرهم، ومن لا يكرم نفسه بتجنب الدنايا لم يكرمه الناس.

(٦) الخليقة والخلق واحد، أي أن الأخلاق لا تخفى، والتخلق لا يبقى.

١٠٣

قال أبو العلاء:

يَسوسون الأمور بغير عقل ... فينفذُ أمرهم ويُقالُ ساسَهْ
فأُفَّ من الحياةِ وأفَّ منهم ... ومن زمن رِئاستُه خَساسَهْ

١٠٤

قال أبو العلاء أيضًا:

مُلَّ المُقامُ فكم أُعَاشرُ أُمَّةً ... أمرت بغير صلاحِها أمراؤها
ظلموا الرعيةَ واستجازوا كيدَها ... وعدوا مصالحها وهم أجراؤها[1]

١٠٥

قال أبو العلاء أيضًا:

كلُّ البلاد ذميمٌ لا مُقامَ بهِ ... وإنْ حللتَ ديارَ الوَبْلِ والرِّهَمِ[2]
إنَّ الحجازَ عن الخيرات منحجزٌ ... وما تِهامةُ إلَّا معدِنُ التُّهَمِ[3]
والشام شُؤمٌ وليس اليُمنُ في يَمَنٍ ... ويثرِبُ الآنَ تَثْرِيبٌ على الفَهِمِ[4]

---

(١) استجازوا كيدها: عدوه جائزًا. عدوًا: جاوزوا وتركوا.

(٢) الوبل: المطر الشديد. الرهم: جمع رهمة: المطر الضعيف الدائم.

(٣) منحجز: مكفوف مدفوع. معدن: منبت.

(٤) ثرّب عليه: قبح عليه فعله. وللمعري في هذه المعاني:

إن العراق وإن الشام مذ زمن ** صفران ما بها للملك سلطان
متى يقوم إمام يستقيد لنا ** فتعرف العدل أجبال وغيطان

وله:

أرى كدرًا عم الموارد كلها ** فمت أو تجرع من خبيث الموارد

١٠٦

قال أبو الطيب المتنبي: -وجميع هذه الأقوال الآتية له من هذا العدد (١٠٦) إلى العدد (١٢٠)-:

لا افتخار إلا لِمن لا يُضامُ ... مُدركٍ أو محارب لا ينامُ[١]

واحتمالُ الأذى ورؤيةُ جانيه ... غِذاءٌ تضوي به الأجسامُ[٢]

ذلَّ من يغبط الذليل بعيش ... رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمَامُ[٣]

كلُّ حلمٍ أتى بغير اقتدار ... حُجَّةٌ لاجئٌ إليها اللِّئام

مَن يَهُنْ يسهُلِ الهوان عليه ... ما لجرحٍ بمَيِّتٍ إيلام[٤]

١٠٧

وآنف من أخي لأبي وأُمي ... إذا ما لم أجده من الكِرَام[٥]

ولستُ بقانعٍ من كلّ فضل ... بأن أُعزى إلى جَدّ هُمام[٦]

ولم أرَ في عيوب الناسِ شيئًا ... كنقص القادرين على التمام

---

(١) يضام: يذل.

(٢) تضوي: تهزل.

(٣) غبطه: تمنى مثل حاله. الحمام: الموت.

(٤) قال جابر بن موسى في هذا المعنى:

إذا ما علا المرء رام العلا ** ** ويقنع بالدون من كان دونا

(٥) آنف: أستنكف.

(٦) أعزى: أنسب.

ولَّمـا صـار ودُّ النـاسِ خِبًّـا   جزيـتُ عـلى ابتسـامٍ بابتسـام[١]
وصرت أشـك فـيمن أصـطفَيه   لعلمـي أنـه بعـضُ الأنـام[٢]

١٠٨

فـؤادٌ مـا تُسـلّيه المُـدام   وعمـرٌ مثـلُ مـا تهـب اللئـام[٣]
ودهـر ناسُـه نـاسٌ صـغارٌ   وإن كانـت لهـم جُثَـثٌ ضِـخَامُ[٤]
خليلُـك أنـت لا مـن قلـتَ خِـلِّي   وإن كثـر التجمُّـل والكـلامُ
وشـبهُ الشـيءِ منجـذبٌ إليـهِ   وأشْـبَهُنَا بـدنيانا الطَّغـام[٥]
ومـن خَـبَرَ الغـواني فـالغواني   ضـياءٌ في بواطنـه ظـلامُ[٦]

١٠٩

مـن الحِلـم أن تستعمِلَ الجهـلَ دونَـهُ   إذا اتسـعتْ في الحِلـم طُـرْقُ المظـالِمِ[٧]
وإن تَـرِدَ المـاءَ الـذي شـطرُه دَمٌ   فتسـقى إذا لم يُسـقَ مَـنْ لم يـزاحِم
ومـن عـرف الأيـامَ معرفتـي بهـا   وبالنـاسِ رَوَّى رُمْحَـهُ غـيرَ راحِـم

---

(١) الخب: المكر والخديعة.

(٢) أصطفيه: أختاره.

(٣) أي لي فؤاد أو فؤادي. المدام: الخمر. وعمر الخ أي: قصير قليل.

(٤) الجثة: جسم الرجل.

(٥) الطغام: رذال الناس وسفلتهم.

(٦) الغواني: النساء الحسان.

(٧) المظلمة: الظلم.

فليس بمرحومٍ إذا ظفروا بِهِ ... ولا في الرَّدَى الجاري عليهم بآثِمِ[1]

١١٠

وفي الجسم نفسٌ لا تَشيبُ بشيبِهِ ... ولو أنَّ ما في الوجهِ منه حِراب[2]

يغيِّرُ مِني الدهر ما شاءَ غيرَها ... وأبلغُ أقصى العمر وهي كَعابُ[3]

وإني لنجمٌ تهتدي بيَ صُحْبَتي ... إذا حالَ من دون النجوم سحابُ[4]

وأصدى فلا أبدي إلى الماء حاجةً ... وللشَّمسِ فوقَ اليَعْمَلاتِ لُعاب[5]

وما العشقُ إلَّا غِرَّةٌ وَطماعةٌ ... يُعرِّضُ قلبٌ نفسهُ فتصابُ

وغيرُ فؤادي للغواني رَميَّةٌ ... وغيرُ بناني للزُّجاج رِكابُ[6]

تركنا لأطراف القنا كلَّ شهوةٍ ... فليسَ لنا إلا بِهِنَّ لِعاب[7]

---

(١) الردى: الموت.

(٢) جعل الشعرات البيض حرابًا.

(٣) كعاب: شابة.

(٤) حَال: اعترض؛ يريد إذا خفيت طرق الأمور في ليل الحيرة هداهم.

(٥) أصدى: أعطش. اليعملات: النوق.

لعاب الشمس ما يراه المرء من أشعة الظهر كأنها خيوط تتدلى فوق رأسه، يريد أنه شديد الاحتمال للظمأ، أو أنه إذا بلغ من الحاجة الغاية صبر على ذلك، ولم يذلَّ لكائن.

(٦) الرمية: الطريدة التي تُرمى. الزجاج: زجاج الخمر.

(٧) اللعاب: الملاعبة. القنا: الرماح.

أعـزُّ مكـانٍ في الـدنى سرجُ سـابحٍ   وخـيرُ جلـيسٍ في الزمـان كتـابُ[١]

١١١

لـولا المشـقةُ سـاد النـاس كُلُّهُـم   الجـود يُفقـرُ والإقـدام قتّـالُ[٢]

إني لفـي زمـن تـرك القبـيح بـهِ   من أكثر النـاسِ إحسـان وإفضـال[٣]

ذكـر الفتـى عمـره الثـاني وحاجتُـه   مـا قاتـه وفضـول العـيش أشـغال[٤]

---

(١) الدنى: جمع دنيا. السابح: الفرس السريع الجري. قال القاضي الجرجاني:

ما تطعمتُ لـذة العيش حتى ❊ ❊ صرت للبيت والكتاب جليسا

ليس شيء أعز عندي من العلـ ❊ ❊ ـم فما أبتغي سواه أنيسا

إنما الذل في مخالطة النـا ❊ ❊ س فدعهم وعش عزيزًا رئيسا

(٢) لولا المشقة تمنع من السيادة لساد الناس كلهم. ثم بين العلة فيها فقال: الجود يورث الإقلال والفقر. والشجاعة توجب التلف والقتل.

(٣) وفي هذا المعنى لبعضهم:

عدِّيـا في زمـاننا ❊ ❊ عن حديث المكـارم

من كفى الناس شره ❊ ❊ فهو في جود حـاتم

(٤) يقول: ذكر الفتى بعد موته عمره الثاني، وحاجته كفاف من العيش يستره، ومن طلب من الدنيا غير ذلك فإنه يتعلق بفضول شغله.

«قلت»: القول الأخير في البيت مرغب أهل الزهد، لا مرغب بغاة المجد. وإن جنحت إليه نفس القانع الزاهد، فلن يحفله السيد الماجد. وقد كان أبو الطيب يشفق من ذل الإقلال، ويجوب الآفاق مستقتلًا في جمع المال. وقد قال لابن زيد التكريسي: «أنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون: إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار». ولعبدالصمد بن المعذل في معنى القول الأول في البيت: =

١١٢

أعزمي طال هذا الليلُ فانظرْ ... أمنك الصبحُ يفرَقُ أن يؤبا[١]

أقلِّبُ فيه أجفاني كأني ... أعُدُّ به على الدهرِ الذنوبا[٢]

وما ليلٌ بأطولَ من نهارٍ ... يظلَّ بلحظ أعدائي مَشوبَا[٣]

وما موت بأبغضَ من حياةٍ ... أرى لهُم معي فيها نصيبا

عرفت نوائب الحدثانِ حتى ... لو انتسبتْ لكنتُ لها نقيبًا[٤]

١١٣

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالةِ في الشقاوةِ ينعَمُ[٥]

= أرى الناس أحدوثة ❊ ❊ فكوني حديثًا حسن

ولصاحب المقصورة:

وإنما المرء حديث بعده ❊ ❊ فكن حديثًا حسنًا لمن روى

والذكر الحسن بعد الموت، أو بعد تبدل الصورة، جنةُ طائفة من الناس كبيرة. قال بعضهم: إني أحب البقاء، وكالبقاء عندي حسن الثناء.

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم ❊ ❊ بأفعالنا إن الثناء هو الخلد

(١) يفرق: يخاف. يؤب: يرجع. يخاطب عزمه يقول: انظر يا عزمي هل علم الصبح بما أعزم عليه من الاقتحام فخشي أن يكون من جملة أعدائي.

(٢) فيه: أي في الليل.

(٣) مشوب: مختلط.

(٤) الحدثان: صرف الدهر. النقيب: الرئيس الخبير بأحوال القوم.

(٥) قول أبي الطيب حق، ولكن «سقراط متألم خير من خنزير متنعم» كما تقول الإفرنج.

لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتى يراقَ على جوانبِه الدَّمُ[١]

يؤذي القليلُ من اللئام بطبعِه من لا يقلُّ كما يَقِلُّ ويلؤُمُ[٢]

والظلمُ من شِيَم النفوسِ فإن تجدْ ذا عفَّةٍ فلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ[٣]

ومن البلية عذلُ من لا يرعوي عن جهله وخطابُ من لا يفهم[٤]

١١٤

وإذا كانت النفوس كبارا تعِبت في مرادها الأجسام[٥]

١١٥

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبُه رجلاهُ والثوب جلدهُ[٦]

---

(١) يراق: يصب. «قلت»: هذا البيت مأخوذ من قول حبيب:

ما إن ترى الأحساب بيضًا وضحًا * * إلا بحيث ترى المنايا سودا

والخاصة تعرف قدر هذا القول.

(٢) القليل هنا: الخسيس الحقير، يقول: اللئيم مطبوع على أذى الكرام لعدم المشاكلة.

(٣) الشيمة: الطبيعة.

(٤) عذل: لوم. يرعوي: يرجع.

(٥) من هنا أخذ الصاحب قوله:

وقائلة لم عرتك الهموم * * وأمرك ممتثل في الأمم

فقلت دعيني على غصتي * * فإن الهموم بقدر الهمم

(٦) في الناس من هو دنيء الهمة يرضى بدون العيش، ولا يطلب ما وراء ذلك، ويرضى أن يعيش عاريًا راجلًا.

ولكــنّ قلبًــا بــين جنبــيّ مــا لَــهُ مــدًى ينتهــي بي في مُــرادٍ أحُــدّهُ[١]
يــرى جســمه يُكســى شُــفوفًا تَرُبُّــه فيختــار أن يكســى دروعًــا تهــدُّه[٢]
وإني إذا بــاشرت أَمــرًا أُريــده تــدانت أقاصيــهِ وهــان أَشَــده[٣]

١١٦

إذا كنــتَ تــرضى أن تعــيشَ بذلــةٍ فــلا تســتَعِدَّنّ الحُســامَ اليمانيــا[٤]
ولا تســتطيلَنَّ الرِّمــاحَ لغــارَةٍ ولا تســتجيدَنَّ العتــاقَ المــذاكيا[٥]
فما ينفــع الأُسْــدَ الحيــاءُ مــن الطَّــوَى ولا تُتَّقَــى حتــى تكــونَ ضَــوَاريا[٦]

١١٧

ومــن نَكَــدِ الــدنيا عــلى الحــرِّ أن يَــرى عَــدُوًّا لــه مــا مــن صَــداقته بــدُّ[٧]

---

(١) المدى: الغاية.

(٢) الشفوف: جمع شف، الثوب الرقيق.

(٣) أقاصيه: أباعده. أشده: أصعبه.

(٤) أستعده: أتخذه عدة له. الحسام: السيف القاطع، أي إذا رضيت أن تعيش ذليلًا فما تصنع بالسيف.

(٥) الاستطالة والاستجادة: اختيار الطويل والجيد. العتاق: الكرام. المذاكي: الخيل القرح التي قد تمت أسنانها.

(٦) الطوى: الجوع. الضواري: المفترسة، وضري بالشيء تعوده. يقول: إذا كان الأسد فيه حياء لم ينفعه ولم يأته بالشبع، وإنما ينال الشبع إذا افترس، فلو لزم عرينه ولم يصد لبقي جائعًا غير مهيب، وإنما يخاف ويتقى إذا كان ضاريًا مفترسًا.

(٧) نكد العيش: عسر وكدر، والنكد: قلة الخير. سمى المداجاة صداقة لما كانت في صورة الصداقة.

بقلبـــي وإن لم أروَ منهـــا مَلالـــةٌ   وبي عـن غوانيهـا وإن وصلت صَـدُّ[١]

١١٨

لقـد رجعـت وأقلامـي قوائـل لي   المجـد للسـيفِ لـيس المجـدُ للقلـمِ
اكتُـبْ بنـا أبـدًا بعـد الكتـاب بِـهِ   فـإنما نحـن للأسـيافِ كالخَـدَمِ[٢]
مَن اقتضـى بسوى الهندِيِّ حاجتَـهُ   أجـاب كـل سُـؤال عـن هَـل بِلَـمِ[٣]
تـوهَّمَ القـوم أن العجـزَ قَرَّبَنَـا   وفي التَّقـرُّبِ مـا يـدعو إلى التُّهَـمِ[٤]
ولم تـزلْ قِلَّـةُ الإنصـاف قاطعـةً   بـينَ الرِّجـالِ ولـو كـانوا ذوي رَحِـمِ
هَـوِّن عـلى بَصَـرٍ مـا شَـقَّ منظَـرُهُ   فـإنَّمَا يقظـاتُ العـينِ كـالحُلُـمِ[٥]
ولا تَشَـكَّ إلى خَلْـقٍ فتُشْـمِتَهُ   شكوى الجريح إلى الغِربانِ والرَّخمِ[٦]
وكـن عـلى حـذَرٍ للنـاسِ تسـترُهُ   ولا يغـرَّكَ مـنهم ثغـرُ مُبتسَـمِ
غـاض الوفـاءُ فـما تلقـاهُ في عِـدةٍ   وأعوز الصدق في الأخبارِ والقَسَـمِ[٧]

---

(١) منها أي من الدنيا. الغواني: الحسان.

(٢) الكتاب: الكتابة.

(٣) اقتضى: طلب. أي هل فعلت؟ فيجيب: لم أفعل ولم أبلغ ما أملت.

(٤) أي إذا تقربت إلى إنسان ظنك عاجزًا محتاجًا إليه.

(٥) شق: أتعب. يقول: هون على العين ما شق عليها النظر إليه مما تراه من المكاره، وهب أنك تراه في الحلم؛ لأن ما تراه في اليقظة يشبه ما تراه في المنام. قال أبو تمام:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ** ** فكـأنها وكـأنهم أحـلامُ

(٦) الرخم: خسيس الطير.

(٧) غاض: ذهب. أعوز: قل.

سبحانَ خالقِ نفسي كيف لَذَّتُها فيها النفوسُ تراه غايةَ الألم[١]

الدهرُ يَعجبُ من حملي نوائِبَهُ وصبرِ نفسي على أحداثِه الحُطُمِ[٢]

وقتٌ يضيعُ وعمرٌ ليت مُدَّتهُ في غير أمته من سالفِ الأمَمِ

أتى الزمانَ بنوهُ في شبيبته فسرّهم وأتيناه على الهرم[٣]

١١٩

صحِبَ الناسُ قَبْلَنا ذا الزَّمانا وعناهم من شأنه ما عنانا[٤]

وتولَّوْا بِغُصَّةٍ كلُّهُم منـ ـه وإن سَرَّ بعضَهم أحيانا[٥]

رُبَّما تُحسِنُ الصنيعَ لياليـ ـه ولكن تكدِّرُ الإحسانا

وكأَنّا لم يرضَ فينا بريبِ الدّ هرِ حتى أعانَه من أعانا[٦]

كلَّما أنبتَ الزمانُ قناةً ركَّبَ المرءُ في القناة سِنانا[٧]

---

(١) يتعجب من أن الله جعل لذته في ورود المهالك وقطع المفاوز، وهو غاية ألم النفس.

(٢) الحطم: الشديدة.

(٣) أتيناه على الهرم فساءنا.

(٤) عناه: شغله وأهمه.

(٥) تولوا: ذهبوا. الغصة: ما يتجرعه الإنسان من مرارات الزمان.

(٦) ريب الدهر: حوادثه المقلقة. هذا كقول الحماسي:

أعان علي الدهر إذ حك بركه ❊❊ ❊❊ كفى الدهر لو وكلته بي كافيا

(٧) القناة: عصا الرمح. السنان: حديدة الرمح. المعنى: الزمان إذا أنبت قناة إنما ينبتها بالطبع، ولا يشعر لأي شيء تصلح، فيتكلف الناس اتخاذ القناة توصلًا إلى إفناء النفوس، ويركبون فيها السنان من الحديد.

ومُـرادُ النفـوسِ أصـغر مـن أن ... نتعـادى فيـه وأن نتفـانى

غـير أن الفتـى يلاقـي المنايـا ... كالحـات ولا يلاقـي الهوانـا[١]

ولـو أنَّ الحيـاة تبقـى لحـيٍّ ... لعـددنا أضَـلَّنا الشـجعانا[٢]

وإذا لم يكـن مـن المـوت بـدٌّ ... فمـن العجـز أَنْ تكـونَ جبانـا[٣]

١٢٠

قال أبو بكر الخوارزمي:

مـالي رأيـتُ بني العبّاس قد فتحوا ... مـن الكنـى ومـن الألقـاب أبوابـا

ولقَّبُـوا رجـلًا لـو عـاش أوَّلُهُـمْ ... مـا كـان يـرضى بـه (للخـانِ) بوابـا

قـلَّ الـدراهمُ في كفَّـي خليفتنـا ... هـذا فـأنفق في الأقـوام ألقابـا[٤]



قال ابن دريد:

وبالشـعر يُبـدي المـرءُ صـفحةَ عقلـهِ ... فـيُعلنُ منـه كُـلَّ مـا كـانَ يكـتُمُ

---

(١) كالحات: معبسات.

(٢) لو كان الجبان يسلم من الموت ويلقاه الشجاع، كان الشجاع ضالًا في إقدامه؛ لأنه يتعرض للقتل، ولكن الحياة لا تبقى لشجاع ولا لجبان، بل الموت ينال الجمع.

(٣) الموت لابد منه فإذا كان كذلك فالجبان لا ينفعه جبنه، والشجاع لا يضره إقدامه؛ فمن العجز يكون الجبن.

(٤) ومن أقوالهم:

مما يزهـدني في أرض أندلس ** ألقـاب معتضد فيها ومعتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها ** كالهر يحكي انتفاخًا صورة الأسد

وسِيَّانِ مَـن لم يَمـتَطِ اللـبُّ شـعرَهُ ... فَيملِـكُ عِطْفَيْـهِ وآخـرُ مُفْحَـمُ[١]

جوائِـبُ أَرجـاءِ البِـلادِ مُطِلَّـةٌ ... تُبيـدُ الليالـي وهْـيَ لا تَتَخَـرَّمُ[٢]

ألم تَـرَ مـا أَدَّت إلينـا وَسَيَّـرَتْ ... عـلى قِـدَمِ الأَيّـامِ عـادٌ وجُرهُـمُ

هُمُ اقتضَبوا الأمثالَ صَعبًا قِيادُهـا ... فَذلَّ لهم مِنها الشريـسُ الغَشَمشَمُ[٣]

وقـالوا الهَوى يَقظـانُ وَالعَقـلُ راقِـدٌ ... وذو العقلِ مَذكورٌ وَذو الصَمتِ أَسلَمُ[٤]

وَممّا جَرى كالوَسمِ في الدهرِ قَولُهم ... عَلى نفسِهِ يَجني الجهـولُ ويجـرِمُ[٥]

وَكَالنـارِ في يَبـسِ الهَشيـمِ مَقالُهـم ... أَلا إنَّ أصلَ العودِ مِن حَيثُ يُقضَمُ[٦]

فَقَـد سيَّـروا مـا لا يُسيِّـرُ مثلَـهُ ... فَصيحٌ عَلى وجهِ الزمـانِ وَأَعجَـمُ[٧]

---

(١) عطفا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركيه. امتطى: ركب، هاجاه فأفحمه، وجده مفحمًا لا يقول الشعر.

(٢) جاب البلاد: قطعها. أرجاء: نواحي، المفرد رجا. تبيد: تهلك. تتخرم: تنقصم تبلى.

(٣) اقتضب القول: ارتجله. الشريس: الشديد الخلاف. الغشمشم: من يركب رأسه فلا يثنيه عن مراده شيء. والمقصود: أن القول الصعب ذل لهم. قال في هذا المعنى صاحب «القلائد»: «الحمد الله الذي راضٍ لنا البيان حتى انقاد في أعنتنا، وشاد مثواه في أجنتنا، وذلل لنا من الفصاحة ما تصعب فملكناه، وأوضح لنا من مشكلاتها ما تشعب فسلكناه، فصار لنا الكلام عبدًا يجيب إذا ناديناه. وسهمًا يصيب الغرض إذا رميناه».

(٤) يقظان: منتبه. راقد: نائم. مذكور: مشهور.

(٥) الوسم: العلامة.

(٦) الهشيم: يابس كل كلأ «حشيش»، وكل شجر، أي سار سريع. يقضم: يكسر.

(٧) الأعجم: من لا يفصح ولا يبين كلامه من العرب، والأعجم أيضًا: من ليس بعربي وإن أفصح بالعجمية، جمعه أعجمون وأعاجم.



قال حسان:

وإنَّ أشــعرَ بيــت أنــت قائلــهُ   بيــتُ يُقــالُ إذا أنشــدتَهُ صــدقا

وإنــما الشــعر لــبُّ المــرء يَعرِضُــه   عــلى البريَّــةِ إن كَيْسًــا وإن حُمُقــا[1]

١٢٣

قال أبو تمام:

ولـولا خِـلالٌ سنّهَا الشـعرُ مـا درى   بغـاةُ العُـلا مـن أيـن تُبغـى المكـارمُ

❊❊❊

(١) لب المرء: عقله. الكيس: الفطنة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
ترجمة المؤلف	٤
مجموعة النشاشيبي	٧
فاتحة الكتاب	٨
من الكتاب العربي الكريم	١٠
من كتاب الصحيح	١٧
من أمثال العرب	٢٤
من أقوال العرب	٣٩
من أشعار العرب	٨١
فهرس الموضوعات	١٣٧

